

الحرية لا تتجزأ

☆

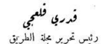
ان الحرية الفردية والحريات الاجتماعية عموماً ، وثيقة الاتصال بالحرية المادية وبالتالي بالحرية الاقتصادية فثمة فرق كبير بين ان يمنح الدستور ابناء الامة حقوقاً وحريات ويضمن لهم تحقيقها، او ان يمنحهم اياها دون ان يوفر لهم وسائل استعمالها، فتظل حبراً على ورق كما نقول في لغتنا الدارجة . فكم في الدنيا اناس لهم حق في العمل ولكن هذا العمل نير يفدحهم بثقله لا خير يشملهم بنعمته ، وكم من اناس منحهم الدستور حرية الكلام والنشر والاجتماع لكنهم محرومون وسائل استعمالها والوقت الكافي للتمتع بها . وكم من اطفال لهم الحق في التعلم ولهم الحرية ، لكن هذا الحق وهذه الحرية يحدهما عجز آبائهم عن تحمل نفقاتهم خلال حياتهم الدراسية فينزلون في سن التعلم الى ميدان العمل.

أخلص من ذلك الى القول بأن للاقتصاد أثراً كبيراً لا ينكر في استقلال الشعوب وفي علاقات بعضها ببعض. ففي الناحية الدولية يجب ان يسود التعاون بين الامم محل تنازعها بأن يضمحل الطمع بل الجشع الاقتصادي لانه الباعث الوحيد للاستعمار وللحروب جميعاً ، ولن يتحقق ذلك الا متى قام الانتاج في الامم على اساس يرضي حاجات المجتمع ويتفق مع مصالح المجموع ، بدلا من ان يسخر لفائدة افراد معدودين. ومن الناحية الداخلية يجب ان تبذل كل امة مجهودها لرفع مستواها الاقتصادي ، المقترن طبعاً بمستواها الفكري ، وتوفير الرخاء لاكبر عدد ممكن من ابنائها .

نحن الان في مرحلة من حياتنا الوطنية نسعى فيها لاستكمال معالم استقلالنا ، ومعنى الاستقلال هو توسيع نفوذ الحكم الوطني في جميع مرافق الحياة حتى يبلغ اسمى اشكاله . ومن الواضح ان اول ما ينتظره الجمهور من الحكم الوطني هو ان يساعد اكثرية الشعب على ترقية مستواها الادبي والمادي ، وكلما ارتفع الحكم الوطني بهذا المستوى درجة أعلى صار أكمل وأجدى ، ويستمر الحكم الوطني في توسعه وصعوده حتى يشعر الشعب ويتثبت بأن هـذا الحكم هو حكمه هو لا حكم بضع شركات او بضع عائلات او بضعة أفراد .

فالنتيجة العملية لدخول بلادنا في عهدها الاستقلالي الجديد ، هي ان يشعر كل مواطن منا بأنه قد انتقل فعلاً من طور الى طور ، وذلك بأن يرى ويلمس تحسناً في مستوى حياته العامة ومعيشته اليومية . فكما أن الاستقلال لا يحقق هدفه ويؤدي ما يرجى منه ، اذا لم ينشر الثقافة بين ابناء البلاد ، ويوفر لهم الحريات الديموقراطية التامة ، ويقيم علاقات الافراد على اسس الحق والعدل ، كذلك لا يكون الاستقلال كاملاً صحيحاً اذا لم يبدل شروط الشعب الاقتصادية وينهض بجماهيره العاملة ، اي باكثريته الساحقة ، من حضيض الفاقة والبؤس ليسير بها في طريق الرخاء والسعادة والحرية الكاملة.

ولا ريب في ان اولي الشأن يقدرون هذه الناحية الاساسية من حياتنا الاجتماعية في هذا العهد الجديد. وأحسب ان الاستاذ رياض الصلح قد عناهـا في بيانه الوزاري حين قال بان العبرة في الاستقلال ان لا يكون « مجرد انانية قومية وارضاء لعزة النفس الوطنية فحسب ، بل نعمة تشمل حياة الشعب » . ولا بدع ، فحين تشمل هذه النعمة حياة الشعب فتلمس حاجاته الاصيلة وتتغلغل الى اعماقه الدفينة، يأخذ الاستقلال معناه ومحتواه وتكون هذه النعمة بدورها قوة جديدة تدعمه وتصونه من كل سوء .



قدري قلعجي

رئيس تحرير مجلة الطريق

على هامش الطريقة الشامية

حول الثقافة اللبنانية

بقلم عبد الله العلايلي

☆

نشدت اول من نشد اقامة الدرس الادبي على قاعدة النوعية في الفن ، ومضيت في سلسلة مقالات عن الطريقة الشامية أبين ان هذا المنهج يقتضي ويستتبع ضرورة تحسس النفسية الخاصة التي هي الينبوع الفني وضرورة ابرازها في أدق مميزاتها، وبذلك تتحدد خطة الدرس وتتميز في شكل شديد الوضوح.

وشرعاً مع وجهة هذا النظر ، أبحت لنفسي ان ابحث لاول مرة النفسية الشامية ومدى ايحاآتها الادبيـة ، وما انفردت به من الوان وتميزت به من طوابع.

وهذا لم يكن يعني ابداً ان النفسية الشامية تختلف في حقيقتها عن النفسية التي هي المثال الوسط للكائن العربي ، وانما تعني ان ما تمتاز به هو من نوع ما تمتاز به نفسية الطبقات في الامة الواحدة.

فنحن نبيح لانفسنا ان نقول بوجود نفسية خاصة بالعمال مثلا، وان نبحث ما فيها من اختصاص وانفراد ، وان نتجاوز الى درس ما فيها من علل ، وكذلك سائر الطبقات في المجتمع . ولكننا لا نبيح لانفسنا بوجه من الوجوه ان نقول ، ان هذا الاختصاص يعني الافتراق عن المثال الوسط للامة، ذلك لانه انفراد لا يلامس الجوهر وانما يتعلق بالملابسات.

هذه حقيقة واضحة ومشاهدة والريب فيها ريب بالواقع الملموس، واولئك الذين تخيلوا ذلك الامتياز قاعـدة لافتراق جوهري بنوا طائفة من النظريات على الخيـال فكانوا خطراً ، ثم حينما ذهبوا يطبقونها على الحياة والاجتماع ويعدونها في الفكر كانوا اكثر خطراً واسوأ اثراً ، بما هم سبيل اليه من نشر عصبيات مزورة وعاصفة بين مجاميع الامة الواحدة ، تتناول الوجود وتتصل باثرها المنعكس على الاستعداد الحي فتوهن منه وتحال أليافه وتفقده جدارته.

ونحن دفاعاً عن عقيدة قومية بتنـا نطمئن اليها وتصحيحاً خطأ نظري في الفكر ايضاً ، رأينـا ضرورة التنبيه في شيء من البيان.

درج الباحثون في الامة من وجهة فلسفية وتطبيقيـة ، على تفصيل الكلام عن المركب النفسي وهو يتضمن ما يعبر عنه بالمثال الوسط للامة ككائن اجتماعي . والمركب النفسي يستند في تمييزه الى ما يسمى « بالظاهرة الاولية » في مصطلح دارسي الحياة ، اذن فالظاهرة الاولية هي عمدة البحث في النفسية من حيث اختصاصها او اشتراكها .

ودون ريب ان الظاهرة الاولية للنفسية العربية واحدة ، رغم الظاهرات الثانوية التي ليس من شأنها ان تحول دون الوحدة الجوهرية للمركب النفسي . وليس من شأني الآن ان اتكلم عن الظاهرة الاولية للنفسية العربية الموحدة ، ولا ان احددهـا في آثارها المتنوعة وارتساماتها المختلفة ، ولا فيما يلابسها من ظاهرات ثانوية . فـذلك موضوع يقتضيني درسه سلسلة مستفيضة من البحوث ، ليست من قصدي فيما انا آخذ به.

وانما اريد ان اتوصل الى بيان الخطر الكامن بازاء الخطـأ المنكر ، فيما تحاوله طائفة في لبنان ترتجل بحوثها ارتجالا فذاً. وشد ما هالني وفي شيء غير قليل من الذعر، ان تنظم سلسلة محاضرات تداور الثقافة اللبنانية كثقافة لها طابع خاص تنشره وتبشر به ، وزاد في ذعري ان يلتمس لها مردّ في استعداد اللبناني يفرضهـا كذلك فيما هي عليه من التميز والانفراد.

فاللبناني في نظر هذه المحاضرات وبالاحرى في نظر الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، كائن يمتـاز ويسمو بالفكر طبيعياً عن مجاوريه وليس مجـاوروه الا متشبعات العنصر العربي في سوريا ومصر والعراق.

وللبناني في نظرها ثقافة عريقة مشت مع التاريخ منذ فجره الى احدث ادواره ، وقد اكتسبتها هذه العراقة خاصية التركب ، فلم يعد عجيبا في اعتبارها ان لا يفهم العرب المجاورون ما تفيض به قريحة اللبناني، وهم ذوو فطرة بدائية تصفق للبديهيات «كذا» اي تفترضهم هذه المحاضرات اناسي في أدنى مراحل الارتقاء او السلم النشوئي.

هذا مجمل افتحار (١) لا استبيح لنفسي ان اسميه رأياً ، تقوم بالدعاوة له طائفة تنضح دون ريب بالشعوبية والحقد على العروبية. ونحن ننشط لنقضه وليس لمكان الخطر فيه وهو اخطر ما يكون، وانما لمكان الخطأ منه وهو افظع ما يبشر به باسم المعرفة . . .

لم تفسر المحاضرة الاولى التي تولى ركبر افتحاريتها الاستاذ البستاني كلمة الثقافة ، كما لم تستعملها في معنى واحد فهي ترسلها تارة بمعنى خلاصة فكر وتارة تطلقها وتريد منها نوع استعداد في الادراك. ولا شك ان هذه الزئبقية في استعمال الكلمة لا تدل على قلق الكلمة في نفسها ، بل تدل على قلق الفكر الذي صدرت عنه وقلق الفكرة التي تكمن وراءها.

والشيء الذي لا أرتاب فيه أن أكثر الكلمات غموضاً اكثرها شيوعاً ، حتى لتبدو وكأنها في غير حاجة الى الايضاح . وسر غموضها يرجع الى انها تدور في مذاهب التعبير غير محددة اعتماداً على وضوحها ، فتضطرب بين التزيد والتنقص .

وكلمة الثقافة من الكلمات المرزوءة بالشيوع والمرزوءة في الوقت نفسه بالغموض ، فهي اكثر ما تكون استعمالا ولكن قلما يكون لها معنى محدد عند مستعمليها. ولذا نرى من الضروري ان نعرفها حسب بحوث شتى في الموضوع ، لنهتدي من بعد الى مكان التهافت فيما تضمنته هذه المحاضرات.

من خلال درس كلمة الثقافة لغويا ثم درسها كاصطلاح ،ننتهي الى انها تعبر عن : طريقة ادراك على منهج المعرفة المحددة. فاطلاقها على خلاصة فكر او على نوع استعداد ، مزج ليس يستجاز بين مفاهيم كلمات الثقافة والمعرفة والملكة . . .

ثم يعود الاستاذ البستاني فيقول « ثقافتنا اللبنانية ثقافة مركبة بمعنى انها وليدة حضارات متعاقبة متراكمة ، فهي وليدة الحضارة الفينيقية والحضارة اليونانية والحضارة اللاتينية والحضارة العربية ثم وليدة الحضارة الاوربية الحديثة » .

واخيراً فاين هي الثقافة اللبنانية ، اذا لم تكن وليدة حضارة خاصة تخمّرها وتطبعها ثم تمدها بالايحاء والحيوية.

فان الثقافة الخاصة فرع الحضارة الخاصة ، التي تكون الثقافة مظهراً لشتى تفاعلاتها المتنوعة .

بينما لبنان على قول المحاضر ليس الا حاضن حضارة وحاضن ثقافة ، واما انه ذو ثقافة خاصة فهذا ما لم يوفق المحاضر الى اثباته وان يكن اثبت بالعكس.

على انه اساء الى الاستعداد اللبناني من حيث انه لم يدل على تزاوج هذه الحضارات في جو لبنان وفعاليته في تخليق ألفة حضارية منها اي انه لم يوفق الى اظهار الطبيعة الفاعلة في لبنان ولو في مثل البوتقة واستعدادها . . . واذا كان مجرد توالي الحضارات المختلفة في عمر طويل على قبيل ما في قطر ما ، يضيف الى ثقافته خاصية التركب، فليس من قطر عربي تقريباً الا وثقافته مركبة . فتلك مصر التي توالت فيها حضارات فرعونية ويونانية وفارسية ورومانية وعربية واوربية ، وهذه سوريا التي مرت بها حضارات مثل ذلك ، وبين تلك وهذه العراق فقد آنس حضارات لا تجيء دونها ، يصح في كل منها مثل قول المحاضر . ثقافتها ثقافة مركبة بمعنى انها وليدة حضارات متعاقبة متراكمة ، كانت كل منها في عصرها خلاصة الفكر البشري .

فكيف يتفق بعد هذا للمحاضر ان يرمي ثقافة الاقطار العربية بالبساطة والتسطح والابتدائيات ، وهي كما رأينا تمرست بالاحقاب والاجيال وفرضت لنفسها العمر الطويل والاختبار الواسع ، ولا يقل عمرها عن ستة آلاف سنة ولا يضيق اختبارها عن متسع العالم . الا ان يكون المحاضر يصدر في تفكيره عدا الارتجال عن تحكم صرف ومكابرة محضة وانانية جغرافية بنت احكامه على خيالها الخالص واوهامها المغرقة . . .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه المحاولة باسم البحث الثقافي وجه آخر لمحاولة سبق ان قام بها أعداء عروبية لبنان باسم البحث السلالي ، ولكنها لم تلبث الاجولة قصيرة احتضرت قبل نهايتها.

ان هذه الفئة تجهد من اجل هدف بعينه « هو عزل لبنان والانكماش به » ، فرأت سبيلها اولاً في القاعدة العرقية السلالية، فاحتفلت بتبيان الدماء وتفصيلها ، وشاءت ان ترتبط بجرى دموي يحقق لها العزلة المنشودة من اقطارها في الحياة والتاريخ والاجتماع والفكر ، ولكن اعياها شريان الاتصال الذي انقطع منذ قرون وقرون ومشى عليه الفناء منذ احقاب واحقاب. فعدلت اخيراً الى القاعدة الحضارية وعملها التخصيصي ، مستخدمة مقتضيات النزعة الحيوية النشوئية ، دون مبالاة بانها شوهتها ان لم يكن هذا التشويه دخله القصد ايضاً ، فانها فئة لا تبحث للبحث بل تزور وتموه باسم البحث.

على ان استخدام المحاضر لفكرة الثقافة المركبة من اساسه خطأ ، فان الباحثين في فلسفة الحضارة عندما قسموا الامم الى طبيعية وتاريخية ، افترضوا في الثانية التركب في العرق واساوب الحياة والاجتماع والفكر ، سيما لدى الشعوب التي تعيش في حدود حوض

(١) من قول العرب افتحر الرأي اتى به غريباً جداً لا سند له .

المتوسط ، والتي لا يشك الباحثون في الجغرافية الانسانية بانهـا تجيء في مقدمة الشعوب التي ترك فيها التطور الارتقائي اعمق آثاره ، ومد كيانها المعنوي بشتى وراثاته . على ان الامم الطبيعية بالمعنى الدقيق باتت في حكم المنقرضة ، ويشك كثيراً في كفاءتهـا على النضال والبقاء . . .

ثم ذهب المحاضر يشفع قوله هذا بمقارنات وشواهد دلت على خطأ أدبي نقدي ، فوق مجموعة الاخطاء الدراسية السابقـة . فهو لا يبالي في انتزاع شواهده المصححة لما ارتآه ، ان يضـع توفيق البكري بازاء سعيد عقل وان يضع محمود سامي البارودي بإزاء يوسف غصوب ، دون ما حساب لفارقة الجيل التي يتصل بها العمر الادبي والعمر الثقافي والعمر الاستعدادي في نزعة الفكر والحس وكفاءة التقبل والتذوق . ان مثل محمود سامي البارودي يصلح ان يوضع بازاء ناصيف اليازجي او يوسف الاسير او سليمان البستاني مثلا ، وبذلك تكون المقـارنة قاعدة معقولة .

وانا لا استبعد — وهو يجيء بمثل هذه العجائب — ان يستجيز بنزعته الخطرة على الفن الادبي ، الطلوع في يوم من الايام بمقارنـة تضع وقفة امرىء القيس امام الليل بازاء وقفة صلاح لبكي امام الليل نفسه ، ووقفة بنتؤر شاعر الفراعنة امام ابي الهول بإزاء وقفة شوقي أمامه ايضاً . ولعل هذه المقارنة خير نموذج للحكم على قيمة الاراء التي اطلع بها المحاضر ، ثم لا يفتأ يطالع بامثالها .

والعجب ان المحاضر في شواهده نسي قاعدة الحضارات المتراكمة والا لما قارن بين أديبين من عهدين لم يتعـادلا في ارث الحضارات وتسلل الوراثة .

أليس الاقرب حتى على منطقه حينما يلتمس تعليل لماذا رجحت محاولة غصوب على محاولة البارودي ، مع افتراض صحة الادعاء ، ان يقال ان غصوب زاد بارث حضارة جديد هو ارث الحضارة الاوربية الحديثة ، وقد انكمش عنه جيل البارودي ، دون ان يلتمس له مرد في الطبع والاستعداد .

كان هذا هو المقتضى المنطقي على حسب قاعـدة الحضارات المتراكمة ، ولكن المحاضر فيما ارجح نسي حتى قاعدته .

ومن وجه آخر نستخدم معه فيه اسلوباً اقـل جدية ، ونشير عليه بان يأخذ شاعرين لبنانيين من مدرستين مثل شبلي ملاط وسعيد عقل وينظمهما في نسق ، فهلا ينتهي الى نفس ما انتهى في شواهده المقارنة من البساطة عند الاول والتركب عند الثاني او من التحامي والتداعي في التصورات ، وكلاهما لبناني وكلاهما ذو ثقافة مركبة . هذا مثل من تهافته الواضح في الفكر ، ندعه دون ما تعليق ولعله أبلغ في القصد .

ومن وراء هذه الاخطاء التفصيلية خطأ يتصل باسلوب التفكير فهذه المحاضرة نفسها تكشف لنا عن نزعة التعميم لدى المحاضر في غير استقراء ، ورغبة الاستنتاج الى حد ارسال النتائج ارسالا دون اقتصاد . فهو يبيح لنفسه الحكم على الكل بحكم الجزء واتخاذ الفرد قاعدة للجماعة ، فان الحضارات التي عددها وآنسها لبنان ان صدقت في حدود شواطئه . فليست صادقة فيما وراء . اذن فليس من المستطاع استخلاص مثال لبناني وسط يكون محلا لصدق هذه الاحكام ، الا تعميما او افتراضاً .

وبالجملة فهذه المحاضرة على اجمالها ، تمور بالاخطاء الدراسية في الثقافة والحضارة والجغرافية الانسانية والنزعة الحيوية في الاجتماع التي استوحى الاساس النظري لمحاضرته منها ، فضلا عن الاخطاء التاريخية والادبية ، ثم التعميم المباده الذي هو اكبر الخطأ في اسلوب التفكير . وكان بودي ان لا اكتفي بالاشارة اليها وسردها فقط ، بل ان اتوسع واتوسع كثيراً في بحثها واحداً واحداً ، وان ادل على ما تبطن هذه المحاولات من تآمر بالفكر العربي ، ولكنني رأيت ان هذا الجهد اكبر من السبب الباعث والداعية الحافزة .

ولكن لا يفوتني ان اشير الى ان في لبنان عصبة — اشك في اخلاصهـا — تتخيل وجوده ، وتبالغ في خيال هذا الوجود حتى لتنعزل به في الشفق . واليها أقول نحواً مما سبق وقاله جبران :

لكم لبنانكم الخيالي في دنيا ما لا نعـلم من العوالم ، ولنا لبناننا الواقعي في دنيا العرب ، دنيا حقيقته التي ينبض بها ويحسها مثل خلجات وحيوات .

عبد الله العلايلي

بقلم الدكتور
صبحي المحمصاني
مستشار في محكمة الاستئناف المختلطة ومدعي عام محكمة الاستئناف الشرعية واستاذ المجلة والقانون الروماني في جامعة بيروت الاميركية

النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون

ان عبد الرحمن بن خلدون، الفيلسوف التونسي الاشهر في القرن الرابع عشر (١٣٣٢ — ١٤٠٦) قد ترك لنا من النظريات ما هو جدير جداً بالالتفات . فقد استطاع هذا الرجل العظيم برغم تأخر العصر الذي عاش فيه والنزاع المتواصل الذي كان بين بعض صغار الامراء في افريقيا الشمالية ، وبرغم الحياة السياسية المضطربة التي كان يحياها ان ينتهز احياناً بعض ما لديه من اوقات الفراغ للانصراف الى البحث والكتابة . وهكذا اخرج للعالم كثيراً من الكتب القيمة كان من اهمها كتاب العبر الذي تعتبر المقدمة الجزء الاول من اجزائه .

فهو في هذه المقدمة يبحث في المجتمع الانساني وفي ادوار المدنية المختلفة وفي السلطة العامة وفي اصل القبيلة ومجتمع البدو وفي نشأة المدن والعواصم كما يبحث في مصادر الكسب وطرق المعاش وفي العلوم والمسائل التي تتعلق بها ، ويورد في اثناء ذلك كثيراً من الملاحظات حول الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي . وهو في بحث العلوم يوضح القوانين التي تؤثر في مظاهر الحياة الاجتماعية ويرى هذه المظاهر متشابكة فيما بينها ومرتبطة برباط السببية ، ويؤكد انها نسبية بالقياس الى احوال الزمان والمكان لان العادات والاوضاع تتغير في رأيه مع العصور وتخضع لعاملي الموقع والمناخ .

اما فيما يختص بالطريقة التي يتبعها ابن خلدون في هذه البحوث فهي استقرائية واستنتاجية بآن واحد . فهو يعالج الامور بالتحليل اولا ثم يتحرى اسبابها ويهتم بملاحظة الحقائق الحسية وبما يستخلص منها بطريق التعليل والتفكير ، ومن هنا كانت ابحاثه التاريخية كثيرة متعددة . وقد خصها في مقدمته باهتمامه وعنايته . فبحث الآثار التي خلفتها الدولة العربية بعد ان دب اليها الهرم كما بحث عهد الفوضى الذي كان يعيش فيه وما ترك فيه التاريخ الاسلامي لا سيما تاريخ العباسيين عند سقوطهم من أثر بليغ .

هذا من حيث الطريقة واما من حيث الشكل فنستطيع القول بان ابن خلدون لم يعالج المظاهر الاقتصادية بطريقة منظمة لانه لم يتعرض لها كعلم قائم بذاته وانما تناولها عفواً في اثناء البحث فذكر حولها جملة ملاحظات نستطيع ان نستخرجها من كتاب المقدمة وان تكن متشابكة مع ارائه في الاخلاق والتاريخ والاجتماع .

على ان آراءه في الاقتصاد ليست في حقيقتها سوى فرع من الفروع التي يتألف منها علم « العمران » هذا العلم الذي يحق للمؤلف ان يفتخر بانه اول من فكر بوضع اصوله الاولى

واذا نحن أردنا ان نبحث عن مدى تأثير ابن خلدون في آرائه الاقتصادية بالنظريات التي كانت سائدة في عصره وجب علينا الاعتراف بما هو مدين به للاسلام والفارابي وابن سينا والغزالي وابي الفضل الدمشقي .

فقد كانت النظم الاسلامية ومن ورائها الغزالي تعلن فكرة الاعتدال وحب البساطة والتخوشن وبغض حياة الترف والتنعم . واخذ الفقهاء المسلمون بتعاليم القرآن فحرموا الربا ووضعوا الحدود الشرعية للضرائب . وعقد الفارابي وابن سينا بحوثاً عن ثروة الفرد وما تتكون منه من دخل وخرج كما شرح الغزالي نشأة الحاجات

والصناعات وكيفية امتدادها وانتهى الى ان العمل واجب على كل انسان.

وذهب ابو الفضل الدمشقي في اتجاهه الاقتصادية الى ابعد من ذلك فشرح نشأة العملة واوضح الحاجة اليها ووجوه استعمالها كما شرح مسألة القيمة الوسطى واهتم بصورة خاصة ببحث التجارة والصناعة.

وهكذا جاء ابن خلدون فاذا بين يديه كثير من النظريات التي تركها المتقدمون حول نقاط متعددة فاخذ ببعضها ليتممه واهمل بعضها الاخر.

ويلوح من نظرياته انه كان يؤمن بوجود نظام الهي يسود الكون ويتحكم في تسيير الحوادث ونلاحظ في بعض نظرياته ما نلاحظه عند الغزالي من تشكك احياناً ومن تسليم احياناً اخرى ويعود في ذلك في معظمه الى التعاليم الاسلامية والحياة المضطربة التي كان يحياها الكاتب. كما يعود الى ما كانت عليه بلاده في الاقتصاد والسياسة من انحطاط وتأخر. وهو من اجل ذلك يستنكر حياة التنعم والتبذير وينادي بالاعتدال فيحب حياة البدو لانها خلو من التكلف ويخشى تكاثر الحاجات التي تتطلبها المدنية.

ويتميز كتاب المقدمة قبل كل شيء بما فيه من دعوة الى الحرية في جميع اشكالها، فهو يهاجم كل ما من شأنه ان يقيد هذه سياسية كانت ام طبيعية. كما يهاجم ذلك النظام الذي يفرض خضوع شعب لشعب آخر. ويفضل حياة البدو لان فيها حرية لا تتوافر لسكان الامصار. وليس اهتمامه بحرية التعامل باقل منه ببقية الامور فهو يحارب جميع الاوضاع التي تقيد هذه الحرية ويستنكر الحصر والاحتكار وتعاطي التجارة من قبل الدولة كما يستنكر فرض الضرائب وكل تداخل حكومي في الميدان الاقتصادي.

وللمستهلك في كتاب ابن خلدون دور هام اذ ان للاستهلاك في نظره اثراً عظيماً في حياة الشعب وحياة السكان وفي توفير الثروة والازدهار وفي شكل النظم التي تكون عليها الدولة.

وهو غالباً ما يعرض لبحث الثروة من الناحية الفردية فقط فلا يتناول مصادر الكسب من حيث الانتاج بل على اساس انها وسيلة لحياة فرد معين. وفي رأينا ان ابن خلدون كان متأثراً في كل ذلك بالفكرة المنزلية لعلم الاقتصاد التي كانت سائدة في ذلك العصر.

فهو اذ يتحدث عن وجوه المعاش يعتبر ان الكسب قيمة الاعمال البشرية، لان العمل، في نظره كما هو في نظر الغزالي، مصدر الثروة ومقياس التمدن والعمران للشعوب.

ودعوته هذه انما كانت ثورة على ما كان سائداً عند الشعوب القديمة، لا سيما عرب الجاهلية، من امتهان للعمل اليدوي. على ان المؤلف يعترف بان لهذه القاعدة بعض المستثنيات وخاصة فيما يتعلق بملكية العقارات. فالملاك قد يحصل احياناً على رزقه من غير عمل ولا مشقة.

وهو يقسم وجوه المعاش الى طبيعية وغير طبيعية ويرتب الاولى حسب اهميتها كما يأتي: الزراعة، فالصناعة، فالمهن الحرة، ثم التجارة. وما خلا ذلك فان جميع وجوه الخدمة في سائر ابواب الامارة او غيرها ليست من المعاش الطبيعي. وابن خلدون لا يرى العمل الذي يؤديه الاجير الى معلمه محموداً بحسب الرجولية الطبيعية للانسان.

وانما كان للزراعة في كتاب المقدمة هذه المرتبة الاولى بين وجوه المعاش الطبيعية لانها تمد القوت وهو اعظم ما يحتاج اليه الانسان في حياته ولما كان مثل هذا العمل محتقراً، ككل عمل يدوي، في العالم القديم فقد وجه ابن خلدون حملته لتصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ.

اما فيما يتعلق بالصناعة فانه يرتب انواعها بشكل موفق فهناك صناعة الفلاحة والاقوات، وصناعة البناء والنجارة، وصناعة الحياكة والخياطة، وصناعة الوراقة ويضيف اليها خطأ الحرف الحرة.

ثم هو يطيل الكلام عن التجارة فيلاحظ انها من الناحية الخلقية احط من جميع وجوه المعاش الاخرى. ويعزى ذلك الى ما كان يراه من ضروب الحيل والغش التي كانت تسود التجارة في بلاده. ولكنه مع ذلك يشيد بفضائل التجارة الخارجية ويوضح العناصر التي يتكون منها ربح التاجر ويرى في الاحتكار ومتاجرة

الامراء خطراً كبيراً.

وخلاصة القول ان ابن خلدون كابي الفضل الدمشقي يقدم للتجار، كثيراً من الوصايا والنصائح العملية المفيدة.

غير انه وان كان ابن خلدون يتفق مع ابي الفضل في بحوثه الاقتصادية من حيث التجارة والناحية الفردية للثروة الا انهما يختلفان في مسألتي السكان والثروة بصورة عامة.

فبينما يلاحظ ابن خلدون ان زيادة السكان نعمة تفضي الى ازدهار الشعب وتقدمه نرى الشيخ ابا الفضل ينصح بتحديد النسل لاعتقاده بان العائلة الكبيرة مدعاة للفقر. وهكذا ينظر الاول الى هذه القضية من ناحيتها الاجتماعية بينما ينظر اليها الثاني من ناحيتها الفردية.

ومن جهة اخرى نجد ابا الفضل يشجع فكرة تنمية الثروة في حين ان ابن خلدون يدعو الى الاعتدال ويرى الى ذلك ان كثرة الثروة خطر قد يهدد الملوك والامراء.

يضاف الى ذلك ان ابا الفضل يحلل فوائد العملة المعدنية ويبحثها من حيث نشأتها والحاجة اليها في التعامل كما يبحث الاسباب التي تدعو الى استعمال الذهب والفضة كمقاييس عامة لتحديد القيم المختلفة اما ابن خلدون فانه في مقدمته لا يأتي على ذكر هذه القضايا الالماما بل يهتم بالناحية التاريخية فيبحث في تطور العملة الاسلامية منذ كان التعامل بالمقايضة حتى العهد الذي انتهت فيه الدولة الى السكة او ضرب العملة الرسمية.

ويتناول ابن خلدون موضوع الاسعار فيرى انه يخضع بالدولة لقانون العرض والطلب وفي رأيه ان هذا القانون يصح ان يطبق على اثمان السلع وبدل اجارة العمل وازدهار الصنائع المختلفة في قيمة الاقوات يدخل قيمة علاجها في الفلح وقيمة ما يفرض عليها من المكوس والمغارم. وهو يرى ان الرخص في السلع مضر بمصالح المنتجين، الا الرخص في الزرع فهو محمود.

وفي المقدمة يشرح ابن خلدون حاجات البشر ويلاحظ انها تزداد مع المدنية ويفضل حياة البدو لانها قليلة الحاجات وهو يرى ان زيادة الحاجات والترف والاسراف كل ذلك من شأنه ان يعطل العمل الزراعي ويضاعف الاستهلاك ويسبب المجاعات والقحط.

ثم هو يبحث في السلطة العامة فيرى ان الدولة مؤسسة طبيعية ويستعرض الاطوار التي تمر بها كل دولة منذ نشأتها حتى النهاية. فيبرز في هذا الفصل تأثير تاريخ الخدمات الاسلامية واضحاً كل الوضوح.

وبعد ان يبحث المؤلف نظام القبيلة واهميتها ويشرح معنى (العصبية) او روح الجماعة من حيث هو اساس لهذا النظام وبعد ان يحلل ميزات السيادة يعود الى ذكر الدولة فيحدد واجباتها بثلاثة هي: حفظ الامن، ونشر العدل، والمحافظة على صدق المعاملات. وكل تدخل من قبل الدولة فيما عدا ذلك وخاصة في المسائل التجارية من شأنه ان يعود بالضرر على افراد الشعب من جهة وعلى الدولة نفسها من جهة اخرى اذ لما كانت الدولة مضطرة الى فرض الضرائب لانفاقها على تحسين البلاد وجب ان لا تكون هذه الضرائب ثقيلة كيلا يرهق المكلفين وتجعلهم يهجرون الارض والعمل تفادياً لها بل وجب ان تكون خفيفة لا تجاوز الحدود التي وضعها لها الشرع الاسلامي وبذلك فقط تصبح مفيدة للدولة وتدر عليها اموالا طائلة

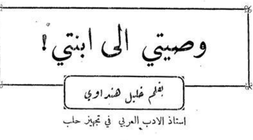
وقصارى القول ان ابن خلدون على الرغم من المآخذ الكثيرة التي تؤخذ عليه قد ترك لنا في موضوع الاقتصاد اراء في غاية الاهمية يمكن القول عنها باختصار انها عرض لبعض النظريات القيمة في الحاجات وتطورها ومحاسن التملك العقاري ومثالبه ومبادئ التسعير وقانون العرض والطلب واهمية العمل والتخصص في الحرف والصناعات وتقسيم وجوه المعاش، وتقسيم الصناعات وتعيين الكسب واهمية التجارة الخارجية وانتاج الضرائب وقضية السكان وتأثير الوسط على معاملات الناس. ثم الفوائد التي تنتج عن اطلاق الحرية في التعامل وواجب الدولة في الميدان الاقتصادي والعملة الاسلامية وتطورها.

صبحي المحمصاني

حسناء تودع جمالها

إليّ إليّ ! أيا جـانية   فأنتِ على شفة الهـاوية
أشدّ يديكِ اجتذابـاً اليّ لتوديع أيامكِ البـاقية
وأنتِ تشدين بي للفنـاء فنقضي وتقضي المنى الذاكية
لقد كاد يبدأ فيكِ الذبولُ فتذبل زهرةُ أحـلاميه
هلمّي ، عسى القبلُ المنعشات تُعيد رياضكِ لي زاهية
فكم قبلة خنقتْ في الشفاه تحنّ لوجنتكِ الحـالية
إذا لم ترقّي لهـا تستحيل جحيماً فتحرق أيّاميه
جمـالكِ محتضرٌ أدركيه بطبٍ من القبلِ الشافية
ولم أرَ مثل احتضار الزهور ومثل احتضار المنى داهية
جمالكِ عاش وما ذقته سوى حسرات بأحشائيه
وهـا هو محتضرٌ والمنى   قد احتضرتْ حوله جاثية
وأحنو عليه وإمّا قضى   تغسله أدمعي الجـارية
وأدفنه في حنـايا الضاوع   وان شئت أحياه تذكاريه
إليّ إليّ ! ألم تسمعي   أنيني وصرخةَ أشواقيه
إليّ ! وإن لم تخفّي إليّ   وقعنا مع الحب في الهاوية

دمشق   احمد الصافي النجفي



وصيتي الى ابنتي !

بقلم خليل هنداوي

استاذ الادب العربي في تجهيز حلب

✶

يا بنيتي !

ليس في هذه الوصية مال تنتفعين به ، ولا ذهب تتحلين به · لان المال يفر منا كما نفر منه · ولكن فيها قلب أب يقدمه لابنته ! ·

كم يسرني ان اراك تنمين كسنابل الحقل ، وتشعين كشعلة من النور · يتدفق وجهك بالحياة ، وتتألق عيناك بالامل ·

انظر اليك فاتمثل امامي مراحل حياتك من اغوار الماضي حتى مطالع المستقبل ! ·

على وجهك غبار السفر الطويل ، فادرك انك ذقت عذاب اجيال متعاقبة انهكت نفسك ، وارهقت روحك حتى وصلت الي مشعثة متغيرة اللون ذابلة الروح ، كأنك كنت تجتازين فلاة بعيدة لا قبل لك بها ! ·

*

انك تفدين اليوم الى المدرسة ، ولا ادري الى كم تفدين في مستقبل حياتك ، ولكني ادري انك ستعبين من العلم والمعرفة اقصى ما يمكن ان تستوعبيه ، لاني اريد لك ثقافة شاملة واعية ، لا لكي اراك تحملين احدى الشهادات العالية · ولكني اريدك ان تكوني متصلة بكل ما اعطت الثقافة الانسانية من نتاج في عمرها الطويل ! واية ثقافة هذه ؟ اني ارى الثقافة الادبية احرى الثقافات بك ، لأنها الثقافة الوحيدة التي تدل على تنمية احاسيسك ، وتهذيب ذوقك . . . وهي الثقافة الوحيدة التي تحملك الى عالم اعلى من عالمك ، اذ تعرفين مراحل الانسانية في جهادها المتصل ، وتطلعين على مناعمها في انتصاراتها ، ومآسيها في انكسارها · واذا بك قطعة غير منفصلة عن الحياة والوجود ! ·

نعم ! لا أرى حرجاً في ان توسعي قلبك بقراءة الادب العالمي لكي تسمعي الحان الانسانية كلها وتلمسي آلامها الكبرى وافراحها الكبرى ، وتريها في حالاتها المختلفة · وتقفي على الادوار التي يمثلها الرجل والمرأة في حياتهما · فتعرفين الرجل حين يصدق وحين يتملق ، وحين يعلو وحين يسفل ، وتعرفين فيه المرأة عند الامانة وعند الخيانة ، والابتذال والصيانة · وتعرفين ثمن كل ذلك ، وتعلمين ان لا ثمن ، يساوي قيمة العفاف ! وتدركين ايضاً ان الحياة ليست كلها هناء وليست كلها شقاء · ولكنك — في الالم — لست بمفردة في ألمك ، بل هنالك وجوه معروفة ومجهولة تفتحت عيونها على الالم · ولكني أريد ان ترفعي نفسك فوق الالم ، وان تجدي التعزية في كل موطن تجعلين من الفرح الصغير فرحاً اكبر ، ومن الالم الشديد ألماً هيناً ، والسعادة الحقيقة لا تأتي من ثوب قشيب ترتدينه · او حلية تتزينين بها · السعادة الحقيقية تأتي من داخل النفس المطمئنة · وكل من يطلبها من غير نفسه لن يجدها · فاعتقدي بالحياة وجمالها واعتقدي بان الالم جانب منها يغذي النفس اذا كان كبيراً · وفي الالم نفسه جوانب لا تكبر النفس بدونها وأية نفس عظيمة لم يضربها الالم بعصاه ، ويفجر منها كل عاطفة كريمة ، وفكرة نقية ؟ الالم وحده يجعل قلبك كبيراً · ونفسك مفتوحة الافاق ! ويربطك بالانسانية كلها ·

واتمنى لك ايضا — ثقافة فنية — فأعلمك لغة الموسيقى ، لا الموسيقى السطحية المبتذلة التي تعبر عن الاحاسيس الصغيرة ، والمشاعر المنحطة ، بل تلك الموسيقى العالمية التي تفجرت من اعماق القلوب وانحدرت على الانامل المرتعشة · لان البيت الذي يخلو من هذه الالحان العلوية يخلو في اعتقادي من كل بهجته وحياته · ويفقد من فيه روح الانسجام · وأتمنى ان تتذوقي الفن والتصوير لان ذلك يبث في روحك محبة تنسيق الاشياء وترتيبها بذوق ورقة · فكم بيت يفقد رونقه لا لقلة ما فيه من اثاث ضخم ثمين · ولكنه يفقد اليد المنظمة ، والذوق الحساس المرهف الذي يشعر « بشاعرية » الاشياء والالوان حين ترتب ، وينضم بعضها الى بعضه ! واذا لم تقدري ان تظفري بالموسيقى فلا تحرمي نفسك من سماعها والتلذذ بها كل يوم ، فطالما رأيت اباك في قطع من الليل يصغي الى هذه الالحان المنسجمة بسكينة ووقار كانه في احد المحاريب يناجي نفسه · واني لاجد ان من اسباب ارتخاء الكآبة على بيوتنا ، وفشو الكمد فيها هي ان سقوفها صامتة لا تتحدث ، وجدرانها خرساء لا تتكلم ·

نعم ان علي ان اجهزك بالحياة تجهيزاً كاملا بعقلك وقلبك : وافهمك ان الجمال ليس كل شيء عند المرأة، وليس الجمال هو كل ما يطلبه الرجل . ان مثل هذه المرأة التي تسترسل في هذا التوهم تتعب كثيراً . لان دولة الجمال ايام معدودات . وعهد المرأة عهد قصير الاجل . فأجمل الجمال جمال يدوم . ويكفن وجه صاحبته بعد الموت . ليس الك ان تفتخري بما منحتك الطبيعة لانها منحة لا يد لك فيها . وما فضل من احسن اليه ! الا ان الفخر في ان تخلقي لنفسك الجمال حيث لا جمال ! هذا الجمال هو جمال النفس الذي يشي طمأنينة على وجهك ، وينعكس ذوقاً في نفسك ، ونغمة حلوة في صوتك ، وصفاء في خلقك !

*

وحين تأتي دولة العاطفة العاصفة ، سأعلمك ان الانسان لا يحيا بعاطفة وحدها . ولكني لن اقول لك ان كل عاطفة ينبغي الاحتراس منها . فمن العواطف ما يقدس ! ولكني أصبحت أخشى دائماً احكام العاطفة المتهورة لانها لا تبقى . ولكن ما حيلتي اذا كان شطر من الفتوة لا يرضى الا باحكامها ! وكثيراً ما ندمنا على غلونا فيها واعتمادنا عليها ولكن بعد ما فات الاوان !! ولكن النفس متى تعالت وتسامت استطاعت ان تفرق ما بين العاطفة الجامحة والعاطفة المطمئنة ، واصبحت بأمن من ثورتها التي تأكل القلوب !

ومتى يطرق بابنا الفتى الذي ربطت الاقدار مصيرك به ، سأترك الك الخيار في شأنه . . . ولا بد اذ ذاك من افتراقنا لتفتحي صحيفة جديدة في حياتك . وعند ذلك أريد ان تعرفي ان البيت الذي نشأت فيه قد توارى عن الوجود ، وان ليس لك الا بيت واحد ، هو البيت الذي رحلت اليه ، تعمرينه وتغمرينه بروحك ونفسك .

ان الرجل ارادة يود ألا يتنازل عنها مهما كلفه ذلك من ثمن فلا تحرجيه فيها ، لان المرأة الحاذقة تنال برقتها ما لا يناله الرجل بارادته فعاملي رجلك بالمودة والثقة والامانة ، وكوني رفيقة له في سرائه وضرائه . ولا تكثري من العتاب والسخط والحرد فان الحياة اقصر من ان تكون طريقاً للذهاب والاياب بين بيتك وبيت أهلك ! . . .

لقد علمت انني أحب بيتي كثيراً ، لانه مستقر راحتي، وموضع اطمئناني . ولكنك تدركين ان الهدوء والثقة والاطمئنان أجل ما يتصف به البيت ، فاذا رفت عليه هذه الصفات فقد رفت عليه السعادة . عليك ان تخلقي جو هذا البيت لرجلك في المستقبل ، وتجعلي منه نعيما لا جحيماً . فالمرأة الجاهلة المنحطة هي التي تشعره هذا الفردوس الجميل وتجعل منه جحيماً من الشك والنزاع والحقد . ولعلي اعرف رجالا كثيرين يفرون من بيوتهم ولا يأوون اليها الا جزءاً من الليل فراراً من الجو المملوء بالصخب . ورحمك الله يا سقراط ! حين كانت تصب زوجك على رأسك الماء الحار ! وانت مسترسل في افكارك وفلسفتك صابراً حليماً ؟ اكم كانت خسارة الانسانية لو غلب على حلمك طيش هذه المرأة ! ولعلي اعرف رجالا كثيرين كانت المرأه مصدر الهامهم ووحيهم ، وكانت اكبر عون لهم على تأدية رسالتهم الانسانية السمحة ومن ذا ينسى عمل خديجة بنت خويلد في توجيه الرسول تلك الوجهة المطمئنة في الطريق السوي!

سأعلمك ان تحبي الطبيعة الطلقة بالوانها وما فيها . لانها تقدمك من الحياة البسيطة ، وتوحي اليك ان الجمال يظهر في ابسط المظاهر ، ويعلمك ان تحبي الاشياء الجميلة ببساطتها ، وان تلمسيها برفق وحنان!

نعم ! الطبيعة الطلقة ، الازاهير الطلقة ، والعصافير الطلقة لان هذه الاشياء — اذا كانت مقيدة — لا توحي الا الكآبة . فأنا لم اسمع مرة عصفوراً يغرد في قفص الا شعرت بان مرارة الحبس تغلب فيه على حلاوة الغناء .

وغداً ستسمعين بحقوق المرأة المهضومة ! فالمسألة ليست بمسألة مطالبة واخذ وعطاء ، وانما هي مسألة قدرتك على التمتع بحقوقك.

سيقولون : هذه المرأة الغربية قد زاحمت الرجل على عمله ، وسبقته الى مكتبه ومصنعه ، وتخلت عن شؤون بيتها . والحق ان مملكة المرأة الكبرى بيتها . وان عزها أمومتها . وان همها لا ان تنشيء الاطفال فقط ، بل ان تنشيء الرجال . والمرأة التي تضع طفلا ولا تصور منه بطلا انما هي خائنة لوطنها . ولذلك اجد هؤلاء الغربيات انما هن ملتجئات ضاقت سبل العيش في وجوههن . فلا تتنازلي ايتها الشرقية عن مملكتك في البيت فان هذه المملكة تغبطك عليها الغربية وتود بقيت لها حدود هذه المملكة !

وسيقولون : ان هناك نساء آخر يعملن للوطن في مصالحه ، في مصانعه الحربية ، يطرن ويقاتلن ، ويمرضن . . . ومن قال لك انني لا اغتبط بك حين يناديك الوطن وتلبين نداءه . . . اذهبي الى عجاجات الحروب ، اذهبي الى المصانع — كما كان يفعل جداتك . لانك تعملين اذ ذاك على الذود عن وطنك وبيتك وشرفك .

الفكر واثره في الاحداث التاريخية

بقلم رئيف خوري

لا ريب في ان هذه المعمعة الكونية العظمى قد نشطت التفكير في العالم، ودعت الناس الى الموازنة بين قيم وقيم، ومبادىء ومبادىء. وكان طبيعياً ان يتصل شيء من النشاط الفكري بلبنان والاقطار العربية، ولكن الظروف المادية التي خلقتها الحرب قد ضيقت مجال الامكان على الطباعة، فقلّت ثمرات الانتاج الادبي في بلادنا. على اننا لم نعدم، بين الحين والحين، كتاباً قيماً تخرجه المطابع. ومن هذه الكتب القيمة مؤلف للاستاذ رئيف خوري عن الفكر العربي الحديث، وتأثره بتيار ثوري من اعظم التيارات العالمية. ولقد حرص الاستاذ خوري على اسلوب علمي اظهر فيه اثر تفكيرنا الحديث واعلام مفكرينا في التقلبات التاريخية التي وقعت في بلادنا، وعزز كتابه بنصوص مختارة من كبار ادبائنا وشعرائنا فجاء مؤلفه حافلا مغنياً في موضوعه، وعميقاً موجهاً المستقبل. والكتاب مصدر بمقدمة نفيسة للاستاذ عمر فاخوري. وفيما يلي فصل نظري عام عن الفكر واثره في الاحداث التاريخية، نقلناه عن كتاب الاستاذ خوري وفيه كثير من الدقة في الرأي والملاحظات المنيرة الصائبة.

•

الثورات الهائلة التي اجرت الدماء كالسواقي، وجعلت الحرية تعبد كالآلهة، كانت فكراً خيالياً مرتعشاً بين تلافيف دماغ رجل فرد عائش بين الوف الرجال (جبران خليل جبران) في «الاجنحة المتكسرة»).

ان الفرد انما هو صوت واحد ينطق باسم ملايين من الناس الصامتين، فالرجل العظيم انما هو عظيم بشعبه لا بنفسه. هو يستمد

ولك من الوطن ما للرجل. والمستقبل يتصل بك وباولادك اكثر مما يتصل بالرجل. والمرأة التي تقذف باولادها طعمة للهاوية لا تربأ بنفسها عن المصير الذي ينتظر اولادها!..

اعملي عملًا فيه تضحية لامتك. فالمرأة كائن مؤلف من سلسلة تضحيات، كأنما الطبيعة أقامتها على التضحيات، وكأنما جعلت حياتها ليست لها. فكلما علت المرأة في شعورها وادراكها استقرت في نفسها هذه الحقيقة «بان حياتها ليست لها» وهي التي تنثر مهجتها قطعاً ممزقة تنثرها على الارض لتكون نباتا صالحاً. فاحذري من ان تنبتي الشوك والعلقم في الارض الطيبة. لان نباتك النبات الصالح والازهار. ليكن شعار كل ام عربية في الوطن «ليس لك ولد، وانما لك وطن» ولتحاكمني الاجيال المقبلة بما تريد، فالهوان الذي ذقناه خير شفيع لنا على هذه الكلمة القاسية.

يا بنيتي!

لشد ما يبهجني – اذا مد الله لي العيش ان ازورك مراراً وتكراراً في بيت امومتك المنتظر. وحولك صغارك يمثلونك لي في حالة الصغر. هذا يلعب بلعبة ستكون غايته في الكبر. وهذه تغني لي انشودة الوطن. وانت مسترسلة في هدوء وغبطة واطمئنان اذ ذاك تدمع عيني المتهدلة، وترتعش الحياة على شعري الابيض، بل تنتفض الحياة – دائماً – من قلبي مهما ضعف، ليردد لساني هذه الكلمة «اللهم اجعل اولادها سعداء احراراً في بلادهم كما ولدتهم امهم احراراً».

انني أنظر الى وجه امي منقبضاً، منكمشاً، تتمشى على تجاعيده حسرات الايام والليالي. فاعلم انها عاشت في جيل مطموس أسيرة، مضطهدة. وانها تمثل تلك الامة الاسيرة المضطهدة. وأرنو الى وجهك يا بنيتي فياضاً بالامل فادعو الله من اعماق قلبي بان تعيشي لزمان خير من زماننا، وغاية اسمى من غايتنا... لان رجاءنا الذي لنا هو اننا فتحنا أعينكن للحق والنور وأريناكن مطلع الشروق والحرية. فالعين التي لا ترى الشمس لا تتلذذ بالنور والنفس التي لا تتمتع بالحرية لا تعرف ان تربي للحرية...

وانظر الى وجهك، والى حركتك، والى عينيك المفتوحتين على اعماق بعيدة... فاقول: على وجه امي رأيت وجه أمتي الماضية وعلى وجهك ألمح وجه أمتي الآتية...

حلب — خليل هنداوي

معظم قوته مما يحيط به من الاشياء والظروف والرجال. (امين الريحاني، في مقاله ينتقد تاريخ «كارليل» عن الثورة الفرنسية).

جماعة الفكر ميالون في الاغلب الى تحميل انفسهم كل مسؤولية الانقلابات والاصلاحات. والذي نراه ان الفكر الاصلاحي فيما يتعلق ببعث الاحداث الاجتماعية يختلف شأنه، فمنه ما تتفق له تجريدات وايغالات في المثل تنقطع به - في بعض النواحي - بعيدا عن عصره، وقد ترجع به احياناً عنه، فلا يخرج عن نطاق الاحلام والرؤى، ويقتصر تأثيره في احسن الحالات على ايقاد الشوق الغامض الى ما «يجب ان يكون» اطلاقاً، فيظل تطبيق محتواه واخراجه الى حيز الفعل متعسراً بل متعذرا.

ومن الفكر ما ينظر الى الواقع فيلمس فيه عناصره التي تشيخ وتنحط، وعناصره التي تنمو وتنهض، فيركز مذهبه الاصلاحي على العوامل النامية في الواقع حوله، ويطمح، لا الى «ما يجب ان يكون» اطلاقاً، بل الى «ما يمكن ان يكون» بالنسبة الى وسائل التحقيق التي هيأها ويهيئها له الوضع والتطور التاريخي.

والفكر الاصلاحي يقوم باعظم ادواره اذ يعي العناصر الشائخة التي تسير في طريق الاضمحلال، ويعي العناصر الجديدة النامية، فيحالف الجديد على البالي، وبذلك يصبح سبباً من الاسباب المحركة - لا الاسباب كلها! - مهما يكن مهماً. والاحداث الاجتماعية لا تقع بمجرد ان مفكرا او جماعة من المفكرين ذهبوا اليها، بل تقع لان القديم «الاب» الذي ترعرع في حضنه الجديد شاخ بحيث بات تنحيه للجديد «الابن» ضرورة تلح وتضغط بثقل الجماهير التي تحركها في المجتمع.

على ان المفكر - اذ يفكر - قل ان يتخلل تفكيره عامل الوعي والادراك لمعنى عمله اجتماعياً وتاريخياً. ولذلك كثيراً ما نجد في المفكر - اديباً كان او شاعراً او فيلسوفاً - مزيجاً من التفكير «الطوبي» الخيالي حول «ما يجب ان يكون» اطلاقاً، والتفكير حول «ما يمكن ان يكون» نسبة الى الوضع التاريخي. بل كثيرا ما نجد في المفكر الواحد مزيجاً مما يخدم القديم ومما يخدم الجديد، لان المفكر قل ان يسائل نفسه من يخدم اجتماعياً وتاريخياً بعمله، بل هو قد يظن نفسه ينهض بشيء، فتكون النتيجة غير ما ظن وما نوى، كان لوثر، مثلاً، ينعت العقل باقبح النعوت: «مومس الشيطان»، «عروس الشيطان»، «اعدى اعداء الله» الخ. ومع ذلك فان الاصلاح الذي كان لوثر رأس دعاته في الكنيسة خدم العقل وحق العقل في المحاكمة والبحث الحر. وعلى هذا يكون للتاريخ منطق غير منطق الافراد، وارادة الافراد.

ومن التأثيرات في تكوين المفكر ما تخفى عليه وتعمل فيه عملها صامتة وهو غير شاعر بها. ومن هنا كان رأي المفكر في نفسه، كرأي كل انسان، لا يصح الاعتماد عليه في حالات كثيرة.

وقد يتفق ان يكون تفكير المفكر غير صحيح كل الصحة من حيث الحقيقة التاريخية او العلمية، ثم لا يمنعه ذلك من ان يؤثر أثره اذا استطاع ان يتناول الجماهير ويحركها. فالمهم في قيمة الفكر - بصفته مؤثراً تاريخياً - هو ان تقبله الجماهير وتعمل به. ولاشك ان الفكر، كلما ازداد نصيبه من الصحة، قبلته الجماهير مدى اطول وعملت به عملا انشط واثبت. وتلك فرضية روسو مثلا عن «الحالة الطبيعية» «Etat de Nature» يغلب انها غير صحيحة من حيث الحقيقة التاريخية. على ان هذه الفرضية، وما بنى عليها المفكر الفرنسي من قواعد في الحكم والسياسة، وافقت مطالب الجماهير الفرنسية ووجدت سبيلها الى قلوبهم وعقولهم، فتأثروا بها في ثورتهم الكبرى. ولما كان مغزى هذه الفرضية ومرماها صحيحاً في ضوء الاتجاه التاريخي وخدمة اغراضه كان البناء عليها اثبت وارسخ من البناء على افكار ونظريات كالتي تدعيها النازية مثلا. فمنذ سنوات كان موسوليني وغوبلز يصيحان: ان عام ١٧٨٩ سيامحى من التاريخ. وعام ١٧٨٩ هو عام «حقوق الانسان» المرتكزة الى نظريات روسو وغيره من مماثليه. فبعد ان ثبتت هذه الحقوق دورا تاريخياً طويلاً، الى ان قام موسوليني وغوبلز يعلنان «انتهاءها»، اقبلت هذه الحرب، وقد بدأ التاريخ يقول فيها كلمته المعروفة.

فالمهم في الفكر الفعال، اذن، هو ان يحرص على الصحة اولا، وعلى ان يجد مجاوبة من جماهير الامة.

رئيف خوري

زبونـــة خطـــرة

قصة بقلم رشاد المغربي دارغوث

*

لم يكد الاستاذ فريد ، المحامي في الاستئناف ، ينهي عمله اليومي في مدرسة الحي المتواضعة ويعود الى منزله الذي اتخذه مكتباً ايضاً ، حتى طرق البـاب . فسارعت الى فتحه ام فريد تتلمظ ببقية طعام التهمته سراً، خوفاً من ابنها واخيها اللذين لايفتئان يرددان لها النصائح الصحية :

— تفضلي يا سيدة ! تفضلي ! اهلاً وسهلاً !

وعادت الام ادراجها تنادي الخادمة ، باهتمام بادٍ :

— يا زينب ! افتحي باب المنزول.

ثم تسارع الى غسل يديها وفمها وتقبل على الزائرة ، وقد باتت في ردهة الاستقبال ، وهي تجفف ما تبلل من اطرافها باسفل ثوبها :

— اهلا وسهلاً . . . لا تؤاخذيني . . اليوم غسلنا ، وعجنا ، وطبخنا . . .

فتقول الزائرة بتحبب مصطنع :

— الله يعطيك العافية ! انا جئت في غير وقت الزيارات ! ولكنني الان انهيت عملي . . واحببت ان امر لارى المحروس ، الاستـاذ فريد . . .

وفريد في الغرفة المجاورة ، في غمرة من ذكرى حلم الامس : هذا الحلم الذي بات حقيقة لا ريب فيها . (فلولو) تبادله حباً بحب . الم تدعه يقبلها ، وهي تترامى على صدره ، مستسلمة في دلال وغنج؟ الم تضمه الى صدرها ، متمتمة بكلمات عذبة ناعمة ؟ الم . . .

ثم هذه الوصايا التي زودته بها، ساعة افترقا قرب باب الكلية :

— فريد ! لا تنس : لا دخان ولا سهر ولا نساء ! صحتك اغلى من كل شيء يا روحي ! .

ذكريات بعضها ينسي المرء نفسه . فكيف بهـا اذا تمثلت جميعها ، بقوة وعنف ؟ وهي التي ما برحت في مخيلة الاستاذ حيـة نابضة ، لم يمسسها الزمن بسوء .

— امس ! وكانني ما برحت احيا تلك الساعة !

ويتمثل فريد باقي يومه ، فيراه ابيض ضاحكاً في كل شيء ، وفي كل وجه ، حتى في سحنة هـذا الزميل الحاسد ، وذاك العدو المرائي . بل لقد رأى فريد الحياة نفسها نعيماً ضنّ به ان يقصر اجله او يفوت ، بعد ان كان يردد لايام خلت : « تعب كلها الحياة» . . وهذه المحاماة ، وهذا التدريس وجميع الضربات (السخنة) . . . لا تدر عليه ما يكفي للنفقات الضرورية .

ويقرع باب غرفته برفق وحذر ، ويتعالى صوت يقول :

— انت مشغول يا ابني ؟.

ثم يشق الباب ويبـدو وجه ام فريد ، في قسماته الدقيقة ، وعبوسه الازلي :

— امرأة . . . تريد مقابلتك !.

فتأخذ فريداً دهشة الحالم تروعه ، وعجب المترقب غير ما تنبئه به . فقد اعتاد ، منذ شب ، ان تحول امه وخاله بينه وبين مقابلة النساء الزائرات :

— ومن عساها تكون ؟

لا ادري يا ابني ! اظن انها معلمة ، او قابلة !.

فيهب فريد مسرعاً : هـذه زبونة جديدة ، وعشر ليرات في الشهر ايضاً . وام فريد ، تتبع ابنها ، وتحسب لتلك المقابلة الف حساب.

ويدخل الاستاذ على الزائرة ، وهو في مباذله ، في اللحظة التي كانت ترفع فيها فنجان القهوة الى فمها :

— اهلاً وسهلاً . . الحمد لله على العافية يا سيدتي !.

وكأن المرأة ، وقد فاجأها فريد من حيث لا تحتسب ، قد اضطربت فانقلب الفنجان وتصبب السائل الاسود على ثيابها وعلى الارض :

— . . . خير ، خير ان شاء الله !.

وعلى السيدة عندئذ ان تعتذر ، وعلى ام فريد ان تبادر الى جلب فوطة وعلى الاستاذ ان يعمد الى عملية ازالة القهوة عن الثوب الاحمر :

— لا تمسحي يا امي مسحاً ! هاتي انا ادلك على طريقة لايبقى للبن معها اثراً !

ويمد فريد يديه ، واحدة الى امه يأخذ بها المنشفة ، واخرى الى ما تحت الثوب . . والزائرة مأخوذة بما حدث . حتى اذا لامست انامله ما فوق الركبتين ، شعرت بقشعريرة تدب في جسدها ، حارة تسري سريان الدفء ، فتغمض عينيها وهي تقول مضطربة :

— لا ترعج نفسك يا استاذ . . ارجوك !.

ولكن بضعف ، واستسلام يحملان ام فريد على ان تتمتم بهذه الكلمات وقد ارتسمت بين حاجبيها علامة تعجب قدر مئذنة :

— يا لطيف ! سفور وقلة حيا ! يا رب تجيرنا !.

وكان الليل يقترب مسرعاً ، ساعة انهى فريد ما رآه واجباً تقضي به اللياقة . فنحن في هذه الايام التي ما ان تشرق شمسها حتى تأذن بالمغيب . فيمر النهار تثب ساعاته وثباً ، وينقضي قبل ان يشتاق المرء الى دعة الليل وسكون الظلام . فينظر الاستاذ الى الزبونة الجديدة في تلك الساعة الحائرة وقد توردت وجنتاها ، فيجدها فتانة حقاً : لا انف كبير يلقي على الفم ظلاً يشعرك بضخامة شفتيه ، ولا ذقن بارزة تفسد عليك عذوبة الوجه البيضوي . بل لقد طفا على كل ذلك لون من غموض الساعة يسبغ على وجه هذه المرأة ، التي ودعت الصبا لعهد طويل غير ، ما لا ادري من سحر وجمال وشباب .

وكأن ام فريد قد ادركت بغريزتها ما خالج نفس ابنها ، حيال تلك المرأة — المرأة — فقامت الى زر الكهرباء ، واشعلت النور ، وعيناها على «الزبونة» ومن حولها ، تحصي حركاتها وسكناتها .

— الست تريد توكيلك يا ابني ! فاذا كان عندك وقت . .

وينظر الاستاذ الى ام سعيد متعجباً — وهي التي كلفته منذ ايام تدريسها اللغة الفرنسية فحسب — فاذا بها تبسم بسمة من ذلك اللون الذي لا تستطيع تعيينه بالضبط ، ولا تبين ما يخفيه .

— انا مستعد لكل خدمة . . و . .

فتقاطعه ام سعيد مستأذنة بالانصراف قبل استفحال الظلام ، على ان تعود غداً فاولادها بانتظارها ، وهي تخشى السير وحدها في الشوارع المقفرة :

— انا اوصلك اذا شئت !.

ثم بعد صمت وجيز ، يردف الاستاذ متلعثماً ، موجهاً الخطاب الى امه :

— انني على موعد في المدينة . . بعد الساعة السادسة . . . فارافقك في الطريق اذا شئت !

وتتدخل ام فريد ، لئلا تفلت هذه الزبونة ، والازمة شديدة خانقة :

— الاولاد ما عليهم شر . . احكي له قصتك !.

فتؤثر ام سعيد الجلوس ، بعد تردد ظاهر . ثم تبدأ بسرد قصتها ، وشرح مشاكلها بعد وفاة (المرحوم) ، وما ذاقته من العذاب ، والجور . . حتى من اهلها وذويها . .

فلا يعلق بذهن الاستاذ من كل ذلك الا قولها :

— لذلك اعيش اليوم بعيدة عن النـاس ، حتى اهلي ! فلا أزور احداً منهم ولا يزورني احد !.

وفي الطريق يحاول الاستاذ ان يخرج رفيقته عن صمتها ، وهذه

الوحشة التي لم يكن لها عندها اثر ، منذ هنيهة ، فيقول :

– الحق ان المقادير ظالمة احيـاناً . . انت الصبية ! . . وكم ولداً عندك ؟.

– اربعة !.

– اربعة ! الله يبقيهم لك !.

ثم يتابع فريد بعد لحظة متضاحكاً :

– ولكن . . . متى خلفتهم ؟

فتضحك المرأة هذه المرة ، ضحكة مرحة . ولكنها تعمد فوراً الى كظمها ، وتتمتم :

– كم تعطيني من العمر ؟.

فلا يضطرب الاستاذ للمشكلة تتعقد بل يسارع الى حلها بلباقة المحامي التي لم يتح له حتى الان ان يبرزها في القضاء ، وهو واحد من مئات يعج بهم قصر العدل والمقاهي :

– قولي لي اولاً كم تعطينني انت ؟.

فتلتفت ام سعيد اليه تحت قنديل من قناديل الشارع وهي تزم جفونها زم المتأمل ، وتقوس حاجبيها ، وتقول ماكرة بعد فترة غير قصـيرة ، وتفكير جدي :

– في الخامسة والثلاثين؟.

فيضحك فريد ماكراً بدوره ويقول :

– كثرت ! في الثلاثين على الابعد !

فتجيب المرأة على الفور وكأنها وجـدت هي الاخرى فرجاً من ضيق :

– اذن نحن متجايلان !.

وتنجح خطة الاستاذ ، ويتخلص من مأزق لا يخرج الرجل منه محموداً و يوقن مرة اخرى ان الكذب عند حواء ضرورة لا طبع !.

وقد حاول الاستاذ ، في مربع . . عند باب ادريس ، ان يجد صلة بين (جول بياض) و (ويني دار) المراسلتين المتكتمتين اللتين عرضتا عليه الزواج منهما ، وبين هذه المرأة الغريبة الاطوار ، فحال دون ذلك ضجيج الناس وهم في نشوة من خمور يعبونها ، و«لماظات» تلهب حلوقهم فيطفئونها ببنت الحان ويتبارون في الصخب والمجون .

كما حاول ان يتناسى هذه التلميذة ، وجول بياض ، ويني دار ولولو فينغمس في جو المكان ، ليجد بعض تلك اللذة التي يحسها رواد المربع — بانتظار الموعـد المضروب — على الرغم من انه كالقبو لا تدخله الشمس ولا يتخلله الهواء . فلم يوفق . فقام متثاقلاً يجـد للهاث الجماهير ودخان لفافاتهم في نفسه ما يتركه الشريط المبتذل في نفوس النظارة . حتى اذا دقت الساعة الثامنة ، كان فريد على باب ام سعيد يجيب على سؤالها ، قبل كل تحية :

– هل رآك احد ؟

– لا ! نعم ! صاحب الدكان الذي عند مدخل الزقاق !

فتقول المرأة : هذا لا يهم ! . وتصمت قليـلا ، كمن يسترق السمع ، ثم تمد يدها الى الاستاذ ، مصافحة وهي تلوك هـذه الكلمات :

– انا لا اخاف احداً ! ولكن بعض الناس لسانهم طويل . . والحساد والاعداء !

ثم تقود الاستاذ الى غرفة تشعل فيها الانوار، وتنسحب بلباقة وخفة . انها غرفة الاستقبال . وهي عصرية الاثاث ، على بساطتها، ونظيفة على تراكم المقاعد فيها ، والمناضد ، والالواح والصور .

وينتهز فريد فرصة غياب تلميذته ، لينظر عن كثب في تلك الالواح التاريخية ، وهذه الصور العتيقة . ثم يلتفت ، فاذا ربة البيت واقفة عند الباب تنظر اليه بهدوء وعلى وجهها ما يبـدو على وجه المتأمل في منظر رائع .

– الاولاد ما ناموا بعد ! آه منهم ! شياطين يريدون ان يعرفوا من جاء ؟.

وتصمت المرأة ، وهي تلج الغرفة ، حاملة كتبها ودفاترها . ثم تردف :

– انت تتأمل في الصور . . هذا ماهرباشا . صديق المرحوم!

فيتخيل الى الاستاذ ان (الارملة) قد شرقت بدمعها . ولكن لا ! انها تعود الى الابتسام ، وهي تومي باصبعها المضرجة الظفر :

– هذا زوجي . . . والاولاد ! فيعلق الاستاذ مازحا :

– هاها ! ولكني لا اراك بينهم ! فتضاحك ام سعيد ويتابع فريد مباسطاً :

– لا ادري ! قد تكونين هذه الواقفة الى اليسار !

– لالا! هذه اخت المرحوم . . تزوجت من نسيب لهـا مهاجر الى . . . فنزويلا .

– اذن انت الجالسة الى يساره !

– ولا هذه ! غريب ! اضاعت عليك هيئتي الى هذه الدرجة ! انك لم تتأمل في بعد ؟.

فيلتفت الاستاذ اليها عاتباً ، وهو يرمقها بنظرات تنم عن تلك العاطفة الحائرة التي تداخل الشاب حيال امرأة تكبره سناً ، تجذبه انوثتها الناضجة ، وتدفعه خبرتها بقلوب الرجال :

— ولكن لم يبق في الصورة سوى هذه المرأة الضخمة، الجالسة الى اليمين . ليس من الممكن ان تكون صورتك !.»

فتقهقه المرأة راضية ، وترتمي على مقعد ، تتنازعها عاطفتان : الزهو بما صارت اليه من نحافة ترضي ذوق العصر ، والسخرية من هذا الشاب الغبي — او الذي يتغابى .

ثم تقص عليه ما سمته (عملية التنحيف) ، وكيف مارستها ، قبل ان تكون النحافة زياً عصرياً ، وكم شربت من الخل ...

وهنا تصمت المرأة كمن يستعرض لنفسه ذكريات سرية يود ان لا يبوح بها . ثم تصلح من نظام شعرها المسترسل على كتفيها وتقول بعد تنهد عميق :

— اتريد ان نبدأ الدرس يا استاذ ؟ .

وتنقضي دقائق الدرس ببطء ، على الرغم من تلهي فريد بالنظر الى عنق هذه المرأة يترجرج ، واعلى صدرها يخفق ، وفمها تطفو عليه ابتسامة ذابلة . واجمل ما اكتشفه الاستاذ فيها، في اثناء درسه هو الاخر هذا الجسد المكتنز ، جانب الوجه اذا نظرت اليه من خلف . فهو فتان حقاً ، يثيرفيك مالا يثيره بكامله(فبروفيل) ام سعيد شبيه بما في ذهن الاستاذ من صورة كليوبترا ، التي جعلها التاريخ ملكة خليقة ، وجعلها الادب ربة مدربات الغرام .

ويتساءل فريد ، عندما ينتهي درسها (ودرسه) :

— ترى أفيك يا سيدتي دم فرعوني ؟

فتعجب المرأة لهذا السؤال اول وهلة ، ثم تجيب مزهوة :

— في دماء كثيرة : فرعوني وعربي وكردي وتركي ... فجدتي لامي مصرية وجدي كردي من ام تركية وابي عربي من العراق !.

فيقول الاستاذ :

— آه ... هذا هو السبب ...!

ثم يبدو له ان يستغل المناسبة لاطراء تلميذته :

— هذا هو السبب في ذكائك !

فتبتسم المرأة خجلة وتستدرك :

— ولكن الاكراد ... اتعرف قصة الكردي وبائع الدبس ؟.

فيضحك الاستاذ ضحكة لا تخفي اهتمامه بغير موضوع الحديث فتسأله ام سعيد عما به ، وقد استشعرت ما يجول في خاطره بتلك الغريزة التي خصت بها المرأة فاغنتها عن التفكير، منذ حواء الاولى :

— لا شيء ... سوى انني افكر في معنى كلمة تركية !.

فتقول التلميذة ، فخورة بان تصبح ولو لحظة استاذة لاستاذها :

— ما هي ؟ انا اعرف هذه اللغة !

ويبادر الاستاذ الى القول ، بلهجة محقق عدلي ، استروح جانبا ضعيفاً في اقرارات متهم :

— دخلك ! ما معنى جول بياض ، وبني دار ؟

فتضطرب المرأة ، وتبتسم دفعة واحدة . فيتابع الاستاذ استنطاقه ، وهو يغمس في عينيها نظرات القاضي الصاعقة ، وسهام المعلم المحنق :

— انا عرفت ان الكتابين المغفلين هما منك ! ولكن .. لم اتخذت لنفسك هذه الاسماء الغريبة !

فلا يسع المتهمة الا ان تعترف ، ولكن اعتراف امرأة ، تحاول ستر كبريائها المفضوحة بمكر ودهاء :

— اردت المزاح ! فجول بياض (بالجيم المصرية والظاء) تعني الوردة البيضاء ... ذكرني بها فيلم عبد الوهاب ! وبني دار ، اسم فتاة تركية كانت رفيقتي في مدرسة جمال باشا ... اثناء الحرب !

فيقوم الاستاذ من مجلسه ليأخذ يد هذه الماكرة وهو يتمتم حيياً مرتبكاً :

— انت معبودة لذيذة !.

ثم يسألها وقد استرجعت يدها بدلال :

— والآن بم ادعوك ! ام سعيد ... هذا لقب عتيق يكبرك وانت الصبية الصغيرة ! .

فيعجب المرأة هذا الاطراء ، يأتي عفواً لا تكلف فيه، وتحدق النظر في وجه الشاب ، تبحث عن مبلغ صدقه ، ثم تبتسم ، وتقول بين مجتين من الدخان :

— ادعني باسمي !.

— وما اسمك ؟.

فتضحك المرأة دون ان تفتح فمها ضحكة تتردد في صدرها تردد النغم في قصبة المزمار ، ثم تقول بغنج وتيه :

— اسمي غريب .. فارسي قديم يعني زهر الرمان ... انما يختصره اهلي فيدعونني (نار) !.

وينتهي الدرس الاول قبيل منتصف الليل فينصرف فريد الى منزله يعد للغد درساً جديداً برسم هذه « التلميذة » النجيبة وعذراً جديداً برسم امه التي لم تعجبها هذه « الزبونة الخطرة ! ».

رشاد المغربي دارغوث

شروق

أطل الصبـاحْ
بوشي الاقـاحْ
على وجهه عربـدات السمر
وفي مقلتيــه اكتحال السحر
فـمـالت غصونْ
وخفقّت عيونْ
تطـلّ على يقظـة المنتظرْ
وفي الوكن رف جنـاح...

●

وراء الجبـلْ
نطـاق بلون اللهيب اطـلّ
فزفت طيور
وفاح العبير
وراح الفراش يمص الزهور
ويحمل منهـا اليهـا القبلْ
وفي الخـدر ملّ سرير...

●

شروقْ
فللنور في الوكنـات خفوق
وللطيب في البرعم
وفي العشب طـلّ مشوق
الى النسيم
على هينمات الخرير
سواق تحث الخطى للغـدير
وملء الفضـاء
اغاني اللقـاء
بحضن الصبـاح الوثير!...

●

وانت، رداحْ
تنامين كالجلمد
أمرّ عليـك الصبـاحْ
وقال: ارقـدي!
هنـا بسمات الاقاح
هنـا الياسمين النـدي
هنا يا مليحة ملتقى الملاح
ونحن على موعد

●

صبـاح كريمْ
والفُ صباح..
أطل عليّ النعيمْ
بوجـه رداح!

سليم عبدو

الشعر الاحمر

بقلم امين الغريب

ذاك عهد ومضى، يوم كان الانسان غير مسؤول عن لون شعره . اذ لا يد له فيه . واصبحنا ومئات السيدات والاوانس ليست لهن يد واحدة في ذلك الميدان . بل يدان .

في سالف الزمن كان الشيب وحدهم يخضبون . ويتعذبون . اما اليوم فنزلت الصبايا الى السوق وصيّرن الخضاب آية من آيات الاناقة . والرشاقة . ورفعن قيمته في العيون . فامسى الصابغون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بل ارتقت الضمائر وتعالت الاخلاق بتنزه الخاضبين عن معرة الانكار والكذب . فاستحقت الفتيات الف شكر وثناء على نشر هذا الزي . مع قبلات فكرية عديدة من كثير من الكهول .

وتعددت الوان شعر البنات في المجالس . وشاع الاصفر الفاقع بين كل الطبقات ، حتى الخادمات . فزهدت به السيدات المهفهفات . وتحول بعضهن الى الابيض الفضي ، رغم انف الصبا والشباب . فاحدث بياض الشعر ثورة اجتماعية ، اذ تخلص المشيب من اثقال الهيبة والجلال ، التي اخنت عليه مدى الاجيال . واستطاع الكهل ان يدّعي انه في بياض شعره ليس شاباً . بل « تابع الموضة » .

اما اللون الذي شاع واستغرب شيوعه الكثيرون فالاحمر . لان الشعر الاحمر ، لما كان في الماضي طبيعياً ، حمل في تضاعيفه نقمة القرون . فاتهمه الناس بالحدة واستدلوا به على طبع غضوب ونية مريبة . وطاردته الامثال بين الامم . فقال الانكليز : « لا تدخل بيتاً مأهولا بشعر احمر فهو يوجب الحذر » . وقال الدانمركيون : « في زواجك بحمراء الشعر ، خطر . فان كان شعرك ايضاً احمر ، ففيه خطران » . وقال الالمان : « قصير القامة متكبر . واحمر الشعر غير مأمون » . لكن الفرنسيين القدماء ضربوا الرقم القياسي في نقمتهم عليه . وقالوا في امثالهم ما لو عربناه ، لكان هذا ، والعياذ بالله : « لا تحيّ احمر الشعر الا عن مسافة ثلاثين متراً . ولتكن مع ذلك في يدك ثلاثة احجار » . اما الاميركيون فتقوم احيانا قيامتهم على من يريد الاقتران بحمراء الشعر . وينذرونه بويل كبير وشر مستطير .

وكل هذا مخرقة خرافية حمقاء لا ظل فيها للحقيقة . ونحن مع حمر الشعور نهزأ بها ولا نقيم لها وزناً . بل نرى ان تقام حفلة تكريم لسيدات عصرنا الجريئات ، اللواتي كافحن بالخضاب خرافة كنا نظنها لا تقهر . وجبهن الاجيال الطوال بوجه باسم ، وشعر احمر . ولست وحيداً على هذا الرأي . بل ان علماء معهد واشنطون السميتسوني بحثوا هذه المسألة ومحصوها . وبعد التدقيق في الفي شخص من هذا النوع المريب اصدروا قراراً قاطعاً بتبرئة الشعر الاحمر من كل التهم المنسوبة اليه . وقالوا بطهره من كل خطر . وعدوه كالاسود والاشقر . لا يؤثر في الاخلاق ولا يتأثر . فهو شعر احمر ، لا اقل ، ولا اكثر .

اذاً يا ضيعة الفرص السوانح من عهد آدم الى اليوم . ويا خسارة الهناء الذي عافه الوف المتحابين بسبب شعر احمر توّج الله به فريقاً من عباده الطيبي القلوب . لان حمر الشعر ليسوا قلالا في العالم . فمن كل عشرين امرأة واحدة وردية الرأس . اما الرجال فواحد من خمسين . وبالتالي تكون نسبة ذوي الشعر الاحمر بين الجنسين خمس نساء ، مقابل كل رجلين .

زد على ذلك ان لون الشعر (الطبيعي) ليس خارجياً فيه ، بل هو داخلي . فالشعر انابيب مجوفة شفافة كالزجاج تستمد من بصيلات لها تحت الجلد مادة تمتلئ بها لونها اسود ، او اشقر ، او كستنائي ، او احمر . وبعد مدة من العمر طويلة او قصيرة تضعف البصيلات وتعجز عن افراز تلك المادة فتضمحل ويفرغ الشعر منها فيشيب اي يبقى بلونه الزجاجي الابيض . والعلم يجهل لماذا يشيب الشعر ولماذا يتساقط . وما اسباب تلونه بلونه الخاص . وما تأثير الوراثة فيه والاقاليم ، وهو على اطلاقه نوعان من اي لون كان . فاما مستدير او مفلطح . والمستدير دائماً املس والمفلطح دائماً جعد .

ولكن لماذا نقم الناس خصوصاً على الشعر الاحمر ، تلك النقمة التي هبت فتيات هذا العصر الانيقات الى القضاء عليها بتحمير شعورهن عمداً ؟ — من جهة العلم والتاريخ نرى اللون الاحمر بحد ذاته يستوقف النظر ، ويؤثر في البصر . ولهذا اتخذه المهندسون علامة للحذر ، من الخطر . فسائق القطار الحديدي مسرعاً كالبرق لا يعيّز في الطريق لوناً غير الاحمر . ثم ان انفراد احمر الشعر بهذا اللون بين الرؤوس ينبّه الانظار اليه . فاذا غضب مرة عدوهـا عليه . واذا تكرر هياجه ذكروا تلك المرة، ولاموا ما في رأسه من حمرة .

والانسان ميال الى التظاهر بما يتخيل عشراؤه فيه . يفترضون ان صاحب الشعر الاحمر حاد المزاج فلا يلبث ان يتحكم رأيهم فيه . ويشاطرهم اياه . وبين الرجال من لا يخطر ببالهم معاكسة فتـاة حمراء او شقراء . لكنهم لا يتورعون عن التعرض لذات « الصوفة الحمراء » . فكم في اوروبا واميركا من سائق سيـارة قليل التهذيب ينادي بكل وقاحة . « يا حمراء الشعر ، يا رأس الجزر . اتبحثين عن تكسي » . ولعمري ان كل منصف يؤيـد مثل تلك الفتاة في حنقها . والسير في طريق الحياة بين هذه المضايقات يكفي لاثارة الهياج في رأسي ورأسك ايها القارئ الكريم .

واذا صرفنا النظر عن العلم والتاريخ وسرحناه بين الاساطير الخرافية ، رأينا الشعر الاحمر مباشراً حتى في جنة عدن حياة القلق والنقمة . ان في افريقيا هياكل لامرأة تدعى ليليث فهل تعرفون من هي ليليث ؟ تروي الحكايات الخزعبلية انها كانت زوجة اولى لابينا آدم وشعرها اسود كالليل . ثم وقعت يوماً عين آدم على حواء . فرآها بيضاء كالثلج في لبنان وعلى رأسها شعر احمر فعل حالا في اعشار قلبه الطري فعـل اللهيب في الهشيم . واذا كنا نرى بعض الرجال المتزوجين حتى اليوم كلما وقفت عيونهم ثابتة على قامة هيفاء متحركة ، طارت قلوبهم شعاعاً .

فالابن ينشأ على ما كان والده ان الاصول عليها ينبت الشجر

اما غيرة الزوجات على رجالهن فليست من اختراعات هـذا العصر . بل ان ليليث اشعلت في جنة عدن هذه النار التي لا تطفأ وقامت قيامتها على زوجها بسبب حواء . وشهدت البهائم اول خصام ليلي بين زوجين . وطاع النهار على ليليث محتضنة ابنها قايين وماضية به الى كورة بعيدة تحرق الادم وتحفر في صدور البنـات امثولة ابدية ان لا تثق واحدة باخرى ما دام في جسم الرجل عرق ينبض .

هي حرب شعواء بينهن ولا حرب البسوس . تنفث غازاتها السامة تحت ستر الملاطفة والتودد . لا هوادة فيها ولا تسامح . وتريـد الاسطورة على ذلك ان هذا كان منشأ الخصومـة التي انتهت الى مأساة اخوية هائلة بين قايين بن ليليث وهابيل بن حواء .

انتم تستصعبون طبعاً تصديق هذه الحكاية . وانا اشاركـكم في الارتياب . ولا اجد فيها سببا معقولا لحذر الناس من الشعر الاحمر . ولكن في التاريخ الحقيقي شوكـة تنعرني انا وسائر الذين لا يكترثون لالوان الشعور . فلعنة الله على يهوذا الاسخريوطي الذي خان السيد المسيح له المجد بقبلة ماكرة . فقد كان هو الاخر شعره احمر . واتعس الملكات الشهيرات حظا واشقاهن نهاية — كليوبطرة المصرية ؟ وماري الاسكتلندية وماري انطوانيت الفرنسية — كان شعرهن احمر كاللهيب . ونبوليون الاول العظيم كان شعره الكستنائي مرقطاً باحمر . وقد عزا الخرافيون محنته الاخيـرة الى تلك الرقط الحمراء في شعره . وفريدريك غليوم امبراطور المانيـا كان يلقب بالامير الاحمر قبل ان جلس على العرش ٩٩ يوما من سنة ١٨٨٨ ومات بسرطان في الحنجرة . وسافو شاعرة اليونان القديمة ارتمت في البحر منتحرة . وسالومة اليهودية سببت براعتها في الرقص قطع رأس القديس يوحنا المعمدان . ونل جوين الممثلة الانكليزية عشيقة الملك كارلس الثاني . ولوكراسيا بورجيا التي اتهمت بكل جرائم الدنيا . ونلسن اميرالبحر الانكليزي الذي انتصر في معركة الطرف الاغر لكنه قتل فيها — كلّ هؤلاء كان شعرهم احمر .

لكنما التاريخ مرج خصيب للاشواك والازهار . فمقابل هؤلاء التعساء بشعرهم الاحمر نجد فيه من السعداء عدداً لاينكر . منهم جورج واشنطون محرر الولايات المتحدة . وثلاثة آخرون من رؤسائها جفرسون وجكسون وكوليدج . ووليم شكسبير الشاعر الانكليزي الاكبر وغاريبلدي القائد الايطالي الاشهر . واخيـرا ساره برنار الفرنسية الممثلة السماوية رأيتها مرتين في نيويورك تمثل في الستين من عمرها دور النسر الصغير ابن نبوليون وفي اواخر حياتها بترت ساقها فظلت الى قبل موتها بقليل في سن الثامنة والسبعين تمثل في مسرحها الباريسي ادواراً خاصة تقتضي الجلوس على كرسي . فتسحر ألباب المتزاحمين بلهجتها الحلوة كالسكر . وكان شعرها احمر . والسلام عليـكم اجمعـين ايها القراء سواء كان شعركم اسود او احمر ، او ابيض او اشقر .

ابن الغريب

الاكسير على ضوء العلم الحديث

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي
الاستاذ في تجهيز حلب

☆

من القضايا المعقدة التي لعبت دورا كبيرا في عالم الكيمياء القديمة قضية الاكسير. وقد تناولها كيميائيو العرب بالاهتمام الزائـد، غير اننا لا نعلم على الضبط ماذا يقصدون من هذا المفهوم القديم، فجابر بن حيان الصوفي الذي يعد ابا الكيمياء يعتقده المتوسط في العمليات اذ يقول: قول الحكماء في وصف هذا الحجر واجماعهم على نعته، اذ قالوا الحجر نار في طبيعته ماء في محسته حجر في خلقته هواء. وقال بعضهم هو السراج المنير —. وقولي ان الحجر الذي يكون فيه الطريق الجواني هو مـاء منظره نار في طبيعته محرق لحرارته، كل في طبيعته فافهم، وما يعتقده من الاكسير هو غير الخميرة بدليل قوله: كل شيء يحتاج الى خميرة. و كل ذلك كذب لان الهواء فيه كل الطبائع. اما الجسم في حد ذاته فهو مركب من جوهرين اثنين ذكر وانثى جسد وروح، احمر وابيض، طائر وثابت ارض وماء، كبريت وزيبق، وان المصلح بينهما حجر ثالث وهو حجر الفلاسفة المكتوم الذي فيه البغية والعلم المخزون، وان من غير هذا الشيء لايكون، ويتضح لنا توسطه في العمليات ما يذكره: والق جزءاً من الاكسير على الف الف جزء من النحاس يأتيـك شمسا ابريزا، وعلى تسعمائة الف جزء من الرصاص وعلى ثمانمائة الف جزء من الرصاص وعلى ثمانمائة الف من الاسرب وعلى سبع مائة الف من الشبه يأتيك ابريزا(١). على هذا الاساس يكون مفهوم الاكسير رغم الاختلافات هو عامل بالتماس الذي يتوسط العمليات كما هو الحال في الكيمياء العصرية(٢) وما يقوي هـذا الزعم ماذكره ابن خلدون عندما تكلم عن ابطـال ثمرة الكيمياء في مقدمته الشهيرة: اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصنائع. وانما اطمعهم في ذلك رؤية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهبا والقصدير فضة ويحسبون انهـا من ممكنات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفـة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعـة عندهم بالحجر المكرم. فاذا رضي بذلك كله من علاجهـا وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعته حصل من ذلك كله تراب او مائع يسمونه الاكسير، ويزعمون انه اذا القي على الفضة المحماة بالنار عادت ذهبا او النحاس المحمى بالنار عاد فضة. ان الاكسير بمثابة الخميرة(٣)

---

(١) راجع مصنفات في علم الكيمياء، للحكيم جابر بن حيـان الصوفي، وقد اعتنى بطبعها ونشرها، ارك يحي هوطبارد، باريس ١٩٢٨ ص ٥٣، ٦٤، ١٠٣، ١٣٨.

(٢) نقصد ما يستعمل اليوم باسم عامل بالتماس كاسفنج البـلاتين الوسيط في صناعة حمض الكبريت، والنيكل في صناعة تصليب الدهون وغير ذلك، ويلعب اليوم العامل بالتماس دوراً كبيراً في العمليات الكمياتية اما مفعوله الحقيقي فلم يمط عن ذلك البحث العلمي بعد.

(٣) افرد ابن خلدون بحثين عن الكيمياء في مقدمتـه، البحث الاول في (علم الكيمياء)، عرف به هذا العلم بقوله: « وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة للصناعـة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك، فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة امزجتها وقواها لعلهم يعـثرون على المادة المستعدة لذلك ...». ثم يذكر النظريات الدائرة حول هذا العلم والاعلام المبرزين فيـه. وفي فصل انكار ثمرة الكيمياء يورد النظرية التي يبني عليها الكميائيون تجاربهم، وهي هـل العناصر متحدة الذات ام مختلفة: « فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي وتابعه عليه حكماء الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها انما هو بالكيفيات. وبنى ابو نصر على مذهبه في اتفاقها بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لامكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء ... وبنى على ابن سينا على مذهبه في اختلافهـا بالنوع انكار هذه الصنعة واستحالة وجودها ». وابو بكر الرازي يقر الكيمياء وله

تطرق الى هذا البحث ايضا محمد بن احمد البيروني ذلك العلامة العبقري الذي ولد في ذي الحجة عام ٣٦٢ في قرية قرب خوارزم، وتوفي في اليوم الثالث من رجب عام ٤٤٠ هـ في غزنة في زمن السلطان مودود بن مسعود بن محمود الغزنوي فاتح الهند الشهير. وقد احسنت مجلة المستمع العربي للاذاعة البريطانية (السنة الرابعة عدد ١٤) بنشر كلمة طيبة للمستشرق الدكتور اريري عن هذا العالم الجليل، مذكرة بمضي الف عام على ولادته وفخر البريطانيين بالاشتراك مع زملائهم العرب في الاحتفال به. ولقد القى الينا هذا العبقري ضوءاً جديدا في الاكسير ايضا في كتابه الذي درست ينابيع حكمته الا وهو الجماهر في معرفة الجواهر الذي طبع من مدة قريبة في حيدر آباد ولكن مع الاسف دون الانتباه الى مطالعاتي عن مصادره. (٤)

لم يدن البيروني بمذهب انقلاب العناصر، ولكن رغما عن ذلك فقد القى نوراً جديدا على هذا المفهوم القديم. فاذا صح ما اخبرنا عنه، يكون العلماء المسلمون قد عرفوا حقاً نظرية انقلاب العناصر بصورة شبيهة لاكتشاف العصر الحاضر. وغالب الظن ان ما اخبرنا به صحيح المصدر، لانه لا يقبل خبرا على علاته، بل ينتقده ويناقشه، وقد اتضح لي حسب ما بينت في رسالتي السابقة انه نقاد للاخبار اكثر مما يكون مبتكرا. (٥)

قبل الكلام على الاكسير عند البيروني نرى لزاماً علينا تبيان ما اوضحه هذا العالم من نظرية انقلاب العناصر لانها من الخطورة بمكان، وان كان هو لا يؤمن بها، فقد ذكر عن الجذع قول يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب الشهير: «وقال الكندي انه معدن جميع انواعه لا تبعد عن معادن العقيق وان جميعها تطبخ بالعسل يوماً او يومين فتنفتح عروقه — فان كان كذلك فاوشك بما قيل في كتاب الكيمياء ان يصدق وهو ان من الحجارة ما يزداد في بطن الارض ومنها ما ينقص ويتفتت ومنها كالجذع يتلون من لون الى لون»، ثم يذكر لنا نظام التطور في الذائبات اعني المعادن، فالذهب «يتردد في انواع الذائبات من عند ابويه الزيبق والكبريت، واجتاز على الرصاص والنحاس والاسرب والفضة الى ان استوفى الصبغ والرزانة فوقف، ولا يتجاوز رتبة الكمال»، ويفسر البيروني هذا الادعاء بقوله: «ولم يعن الطبيعيون فيها الا ما يعنون في الانسان انه بالغ اقصى رتبة الكمال بالاضافة الى ما دونه من الحيوان، ويذهبون فيه الى .. جوهره لانه صعد الى الانسانية من انواعها حتى ارتقى من الكلبية الى الدبية ثم الى القردية الى ان يأنس». غير ان البيروني يسخر من مركبي الذهب بصورة صنعية لانه يقول: «وما يصنعه الناس من مواد الفلزات فالطبيعة اولى بصنعه— وليس هذا الحكم بنعكس كما يعكسه الكميائيون، حتى يصير ذهبهم المرئي في المنام باضغاث احلام افضل من المعدني لاقتداره على احالة ما يحمل عليه الى نفسه ذهباً خالصاً زعموا وعجز المعدني عن مثله». اما الذهب المحلول الذي اطنب به الكميائيون فهو في نظر البيروني ماء الذهب: «والذهب المحلول عند الكيميائيين يكون في الزجاجة ماء اصفر رجراجاً قد زالت ذهبيته ومغرته الباقية كالزرنيخية». (٦)

يتكلم البيروني عن الاكسير اثناء حديثه عن الكبريت الاحمر «والذي يعتقده الخاصة في الكبريت الاحمر انه الياقوت الاحمر واظن في سبب هذه التسمية انه خرزات حمر تشابه الكركند (نوع من الياقوت) بالحمرة وبعض الشفاف مسبوكة من الكبريت والزرنيخ، وكانت تجلب من اصفهان فاذا القيت في النار اتقدت بلهب كبريتي اكهب وفاحت منه رائحته، فسمي الياقوت به على وجه التشبيه، على ان قوماً ذكروا انهم شاهدوا من انواع الكبريت ما اشبه حبات الرمان «٧». لا نجد في هذا التعليل غموضاً، ولكن البيروني يفسر لنا بان الاكسير هو الواسطة في انقلاب العناصر حيث يقول: «فاما عند العامة فان الكبريت الاحمر هو الاكسير الذي منه يؤمل حصول شيء طبيعي بالصناعة حتى يستحيل الفضة بها ذهباً ابريزاً احمر، ويزعمون انه مخزون في جبل دنباوند، وكأنهم سمعوا من الكيميائيين ملحاً في جملة املاحهم —

كتاب في الصنعة بعنوان «سر الاسرار» موجود بصفة مخطوطة في جامعة غويتنغن، درسه الاستاذ يوليوس روسكا عام ١٩٣٧ Quellen und Studien, VI, Bn 1937, XII. وينتقد ابن خلدون انقلاب العناصر في فصل انكار ثمرة الكيمياء بقوله: «من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله يقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم .. فهو كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الاجسام».

(٤) منابع علم الاحجار للبيروني، راجع مجلة الحديث «العلوم الطبيعية عند العرب وموقفها من المصادر اليونانية»، كانون الثاني ١٩٤٣ وما بعدها.

(٥) المنابع، المصدر المتقدم، الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد ١٣٥٥ هـ. بحث القصاع الصينية. مقدمة المنابع.

(٦) الجماهر في معرفة الجواهر، ص ٨٠، ٢٣٥، ١٧٦، ٢٤٧.

(٧) نفس المصدر، ص ١٠٣-١٠٤.

ومن المجوس من يزعم ان حابس بيوراسب (؟) في ذلك الجبل وان الدخان الدائم الارتفاع من ذروته وهو انفاس المجوس ، والماء الكبريتي النابع من اذياله ... وان مروره في المصعد على نقب قد جمد حولها (كذا في الاصل) كبريت حسن الصفرة فوضعوه مكان الملح وانه يستعمل في الكيمياء فانتجوا منه الكبريت الاحمر الذي ظنوه اكسير الذهب (٨) . اننا لنجد في هذا النص غموضاً شديداً للاسباب الاتية :

١ : الجبل الذي يحدثنا عنه البيروني هو في ايران، ويشكل اعلى قمة في سلسلة الجبال التي هي شمال طهران ، غني في المعادن والفحم الحجري والكبريت (٩) . وقد وصف هذا الجبل ابودلف حسب مخطوطة ابن الفقيه التي اكتشفت من مدة قريبة في مشهد ايران (١٠) . ولعل السبب في الاعتقاد بوجود الاكسير غزارته المعدنية .

٢ : لا نرى هنا اية اشارة الى عامل الناس الذي مر معنا .

٤ : لا نعلم عن الدخان المتصاعد من هذا الجبل شيئاً ، وآبار النفط على ما اعلم هي في مكان آخر في ايران (١١) .

٤ : ان غزارة الكبريت في هذا الجبل يدعوه ان يكون مقصوداً من الكيميائيين كما بيّن البيروني من قبل .

٥ : لا نجد اية عبارة تعرفنا بالغاية الحقيقية من قصد هذا الجبل ، كذلك على ضوء البحث الحديث لا نهتدي الى شيء .

نظراً لخبرة البيروني الذاتية نجد ما يلي : « ورأيت عند بعض المترددين في البحر قطعة كقبضة اليد حمراء ضاربة الى السواد اذا كسرت رؤي في قطاعها الرقاق قليل شفاف ، وكان يحمى درهم فضة ويوضع عليه قطعة منه فتثقبه وتنفذ فيه بالغوص الى الجانب الاخر (١٢) .

---

(٨) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

(٩) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة دنباوند .

(١٠) مخطوطة ابن الفقيه (مشهد ايران) ، المنابع ص ١٧ ، معجم البلدان لياقوت .

(١١) ان آبار النفط المشتعلة هي في ايران في عبادان والمنطقة الجنوبية الغربية وقد ذكرها البيروني ايضاً الجماهر ٤٣ . ولا نعلم عن وجود نفط مشتعل في جبل دنباوند . ولعل المقصود من الدخان المتصاعد كما ذكر ذلك التيفاشي ، في كتابه ازهار الافكار في جواهر الاحجار ، مخطوط في غوته ، راجع عنه كتاب القيم عن نخب الذخائر للاكفاني للاب انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٦١ .

(١٢) الجماهر ص ١٠٤ .

فهنا نحن امام مشكلة كبيرة ، ما هي هذه القطعة يا ترى ؟ وما فائدتها ؟ وهل هناك مادة متصفة بخاصية الراديو الفعال Radioactiv كالراديوم وتوابعه . فمن ثقلها نستدل على انها مادة رصاص ، فهل كان هذا رصاصاً منقلباً عن معدن الراديوم كما يحدث ذلك في مناجم الراديوم الطبيعية . ولم يخبرنا البيروني عن هذه المادة الا بكلمات قلائل : « وذكر انه يجلب من الصين الى البصرة كبريتاً احمر ويشتريه صناع الذهب ولم يعرف منه وراء ذلك .

ان الاعجب من كل ما ذكرنا ما نقله لنا البيروني من الخبر منتقداً اياه كخرافة : « ان معدن الكبريت الاحمر (الاكسير) عند مغرب الشمس بقرب المحيط يضيء بالليل ما دام بمعدنه (١٣) . فاقران الاضاءة بالوسيط بين العمليات يدلنا على انهم شاهدوا انقلاب العناصر فعلاً وللتأكد من ذلك يلزم ان نسأل العلماء العصريين انفسهم كيف اهتدوا الى هذا الامر الهام، مقارنين بين الاكتشاف العصري وما اخبر به البيروني كخرافة .

*

شاهد الباحثون منذ سنين عديدة خروج ثلاثة اشعة من معدن الراديوم، الشعاع الاول عبارة عن جوهر الهليوم والثاني الكترونات منفية والثالث عبارة عن اشعة رونتجن ، وقد لوحظ في مناجم الراديوم وجميع المعادن المتصفة بخاصة الراديو الفعال بانها تتحول الى ان تنتهي في تحولها الى رصاص . ويختلف الرصاص العادي المنقلب عن الراديوم بخاصة الاشعاع . واول من توفق الى قلب العناصر هي البحاثة الكبيرة ايرن كوري ابنة البحاثة ماري كوري مكتشفة الراديوم الشهيرة . نجحت ايرن بمساعدة زوجها جوليوت الى قذف الاشعة الاولى لاحدى مركبات الراديوم ، وقد استغربت للمرة الاولى حين شاهدت خاصة الاشعاع في البور ، هذا بعد ان اجرت التجربة مراراً عديدة . اما البور فبقي نفسه ، وقد تمكنت اخيراً بشروط خاصة الى قلب معدن الالومنيوم الى فوسفور، ويمتاز هذا الفوسفور عن الاعتيادي بخاصة الاشعاع التي تتصف بها جميع الاجسام المشعة ، وهكذا قضي على مصونية المادة للفوازيه واستعيض عنها بمصونية القدرة الحديثة ، التي يسود تأثيرها في شحنة النواة الموجبة ، وعدد الالكترونات السالبة ، والتفاعل يكتب كما يلي :

---

(١٣) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

الى قراء الاديب

★

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .
- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .
- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج :

١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

- الادارة غير مسؤلة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .
- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) . والسنة الثانية (ما عدا الجزأين الثالث والحادي عشر) ، فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثمن الجزء ليرة واحدة .
- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

★

- ادارة الاديب : شارع الاحرار — غربي ساحة الدباس بيروت

- صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
مدير الادارة : زكريا لبابيدي
المدير الفني : مختار شملي

◆

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الادارة

الومنيوم ١٧ على ١٣ مع هليوم ٤ على ٢ = فوسفور ٣٥ على ١٥ مع نيوترون ١ على ٠

ان هذه المعادلة مستحيلة في عهد لافوازيه ، لان عدد العناصر في الطرف الواحد من المعادلة يلزم ان يكون مساوياً للطرف الثاني منها ، اما هنا فيكون التساوي بعدد الشحنات فقط . (١٤)

لا نريد التوغل في هذه القضية العصرية ، لانهـا ليست مجال البحث ، فالذي يهمنا منها ان انقلاب العناصر مقرون حسب تتبع العصر الحاضر بواسطة الاجسام المتصفة بخاصة الاشعـاع . ومن الغريب ان يخبرنا البيروني بالاكسير الذي بواسطته يؤمل حصول شيء بهذه الصناعة اعني بها صناعة الكيمياء ، ويقصد البيروني . ان انقلاب العناصر يكون بواسطة جسم يتصف بالاشعاع

نحن اذن امام تفسير جديد للاكسير ، وما تحطيم الذرة التي ورد ذكرها في النشرة العلمية الشهرية للمجلس البريطاني (عدد١٩) للاستاذ جيمس شادويك الا لهذا الغرض . (١٥) لا يهمنا في هذا الصدد حكم البيروني نفسه ، لان زمنه لا يسمح بمعرفـة ذلك . وان رجلا عبقريا مثله لا يعتمد الا على تجاربه الحسية وعلى المحاكمة المنطقية لا شك يعد ذلك من قبيل الخرافات . اما التجارب اليوم فلم تدخل ذلك في بقعة الامكان فقط ، بل جعلتها صحيحة وسلماً بها ايضاً .

*

اذن ان الشك فيما نسمع قد لا يوصل الى ساحل اليقين والاطمئنان بل يلزم ان نقتدي بابن سينا الذي يقول : اياك ان يكون تكيسك وتبرزك عن العامة هو ان تنبري ، منكرا لكل شيء ، فذلـك طيش وعجز ، وليس الخرق في تكذيبك مالم يستبن لك بعد جليته ، دون الحذق في تصديق مالم تقم بين يديك بينته ، بل عليك الاعتصام بحبل التوقف ، وان ازعجك استنكار ما يعيه سمعك ما لم تبرهن استحالته . فالصواب ان تسرح امثال ذلك الى بقعـة الامكان ، ما لم يذدك عنه قائم البرهان . اعلم ان في الطبيعة عجائب ، وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب (١٦) .

حلب — محمد يحيى الهاشمي

---

(١٤) Die Umschan , B. 1934

(١٥) النشرة الشهرية العلمية للمجلس البريطاني القاهرة (فبراير ١٩٤٣

(١٦) ابن سينا ، مكتب النشر العربي ، دمشق ١٩٣٧ ص ١٦٥ .

شاعر يتحدث عن شعراء معاصرين

يعد اليوم الاستاذ الشاعر صلاح الاسير دراسة شاملة عن الشعر الحديث في البلاد العربية والمهجر . وقد رغبنا اليه ان يتحدث الى قراء الاديب حديثاً خاطفاً يتصل بموضوع هذه الدراسة الطريفة التي يعدها .

بقلم صلاح الاسير

مصر

حملت مصر لواء الشعر العربي في الثلث الاول من هذا القرن وكان شوقي يصون اللواء بفرائد شعشعت وتشعشع اليوم في الدنيا العربية فلما لقي شوقي وجه ربه توارى اللواء حزناً على راعيه

علي محمود طه

.. او علي محمود طه المهندس ، ترعرع في ظلال مدرسة شوقي وكانت طلائع شعره على طراوة مستحبة وسجية صافية ولكن المجازفة جنحت به اخيراً بعد ان اقفرت مصر من شاعرها الاول فتطلع علي محمود طه الى السدة الخاليـة فخرج بذلك على فطرته الاولى واراد التحليق دفعة واحدة فأودت به الوثبة ... لي امنية واحدة هي عودة علي محمود طه الى ايام الملاح التائه .

خليل مطران

قد يكون استاذنا الخليل اول شاعر عربي معاصر استطاعان يخلع على شعره غلالة من ثقافة وذوق وجال أضف الى ذلك لغة الاساطين في غير تقعر وتكلف وعندي ان شعره الاول خير من شعره الاخير .. فهو في النقلة الاخيرة تجاذبته المناسبات فاذا شعر له تحت الطلب لا يخلو من عبقرية الخليل وصفائه . وهو على كل حال اول المجلين في النقلتين .

احمد رامي

شاعر العاطفة المغنية والقلب الموله والوتر الذي رنحتـه عشايا النيل ، تغلب على شعره كآبة محببة فهو لا يقطع الا في النادر أمله في لقاء او رجاءه في وصال . شعره على كل لسان وهو يعذب كثيراً على لسان صناجة الغناء ام كلثوم ... عندما اقرأ لرامي أحار حقاً أفصيحه أبدع من أزجاله ام أزجاله امتع من فصيحه ... ولكنه في أزجاله أحمد رامي وأحمد رامي فحسب ...

ابراهيم ناجي

على شعره سجيته الطيبة ونفسه المتوارية يتسلسل الموضوع عنده تسلسلا اكاد اقول عنه تاريخياً .. قلبه حجر الزاوية او الدائرة التي يدور حولها اكثر شعره . له خيال وادع لم يتجنح بعد .. وهو اليوم على عتبة الخمسين !.

عباس محمود العقاد

قلت عنه في مقال لي نشر في مصر انه عقدة في الادب ارجو ان تحل نفسها فاذا كان العقاد عقدة في الادب على اطلاقه فهو في الشعر احجية مظلمة تتقلب على صعيد التكلف.. وغفر الله لصديقي الدكتور طه حسين تلك الهفوة العابرة عندما اقنع العقاد بانه امير الشعر غير منازع .

احمد عبد المجيـد

شاعر في الذروة ، على تواضع حبيب ينم عليه شعره ، كما ينم الطيب عن الورد ، والخفر عن البنفسج ، ولولا انهماكه في شؤون وظيفته الديبلوماسية لاغنى الشعر ، له في الزجل روائع ، ولكن فصيحه يعلو على زجله ، هو في طليعة شعراء مصر ديباجة وحساً ، وهو ينضح على عاطفة سخية ونفَس حلو... سمعت له قبل ان اراه فاطربني غناؤه ، ورأيته ينشد الشعر فاذا عذوبة تلمع على الحروف .

العراق

تغلب الرجولة على سائر مميزات الشعب العراقي ، لذلك اقتصر الشعر في العراق او كاد على الحماسيـات والفخر والتحزب الى ان عني الزهاوي يرحمه الله ببعض النواحي الفلسفيـة ولكن العراق

اليوم ينعم بابواب في الشعر جديدة تساوق الانغام المتعالية من شتى نواحي بلاد العرب .

معروف الرصافي

فيه تمرد غير متصل الحلقات وعنده طبيعة متقطعــه فاذا تمرد جاء شعره في الذروة واذا هدأ واستكان في وظيفــة او ديوان خنقت الدعة شعلة الشاعرية عنده . استهوته السياسة فعمل فيهـا وطلع علينا بنماذج مختلفة الالوان متصادمة الآراء جائرة التوجيه واليوم يخفت صوت الرصافي ، اتراه عاوده حنينه الاول فهو عاكف اليوم على الشعر الوجداني . وعندي ان للرصافي بيتاً رائعاً احفظه له الى جانب ما احفظ له ، في هذا البيت ام توقظ ابنتها للقاء الصبيحة الحلوة :

يا ابنتي، ياابنتي شقيقتك الشمس استفاقت من نومها فاستفيقي .

محمد مهدي الجواهري

أشعر الاحياء في العراق وأمتعهم ديباجة وأقربهم الى سريرة الشعر وخوافي الاحاسيس في شعره ينبض العرق وتصرخ الحيـاة وتحقق المجازفة ، فهو في سياسياته قومي عنيف يخاصم دون هوادة صريح في رأيه وهو في غزلياته آية من آيات الاباحية . ان عمر بن أبي ربيعة حيي في شعره الاباحي اذا قيس بالجواهري . الجواهري شاعر الحياة يزخر معها بكل ما تزخر به من حب وبغض وجهـاد ومهادنة .

احمد الصافي النجفي

يرى كليات الحياة في جزئياتها، ويخلص للفكرة او للخاطر او للصورة فهو من هذه الناحية الشاعر الفوتوغرافي في شعرنا الحديث ، نرقب منه كثيراً ولا ريب ان للصافي روائع لم تظهر بعـد ، ويوم تظهر نستطيع ان نستكمل الرأي الحق الذي نحمله عن الصافي .

شطرنا المهاجر

ولا بد من اندلس جديدة ، لذلك حملت البحار منـذ ثلاثة ارباع الجيل طلائع المهاجرين الى كل ارض في انحاء المعمور ، ويوم استراحت القوافل واستظلت الطمأنينـة خفقت الضاد في صحف تنشر وفي قصائد ودواوين كالعهد بالاندلس يوم غناهـا ابن زيدون .

ايليا ابو ماضي

شاعر التفاؤل يقبل على الحياة في شعره بنهم عاري الوجه لولا جنوحه في شعره الى الحكمة والامثال لكان شعره ابقى على الدهر يرتفع حتى ليجاري البحتري في ديباجته ويتساهل حتى ليذكرني بحليم دموس وشركاه .

الشاعر القروي

يخيل الي ان الشاعر القروي لا يرى في دنياه غير العرب والعروبة فهو اذا راودته حسناء أعجمية أعرض عنها اخلاصاً لسعاد العربية ، ويأ كل غلوه هذا مناحي خفية قد تكون اغدق من المناحي القومية شاعرية وحساً . اما اسلوبه فيعوزه تماسك وتواصل .

شفيق المعلوف

انا من القائلين بان شفيقاً فاق أخاه فوزي يرحمه الله ، ففي شعر شفيق يهمس الحنين طي الحروف ويطفو الهوى على ثمرة في شعره هانئة وهو أقرب الشعراء في المهجر الى الوحدة التي نتطلبها في بناء القصيدة الواحدة . وستظل طرفته عبقر « حديث اجيال » وآية لنا على الجيل الطالع .



لم تلتفت سوريا الى الشعر كثيراً لذلك خلا صباح القرن العشرين من شاعر سوري يغني الاحـداث الجسام التي مثلت على المسرح السوري . ولكن سوريا اليوم تستطيع ان تزدهي بشاعر كبدوي الجبل ومحلق كعمر ابو ريشه وكسائي كمحمد البزم .

بدوي الجبـل

ليس للبدوي في شعره من اسمه نصيب على وفرة توجده للصحراء ملأ اخيراً آفاق الشام ودوى صوته على ضفاف دجلة واحس لبنان صوتاً جديداً في البدوي يحمل في توجاته اصفى الشعر . والبدوي يغمره موضوعه فينساب معه انسياباً مخلصاً . احبه ان يتحدث عن الخلود في قصيدته « اديب مظهر » ويتحدث عن فاجعـة الخلق والخالق في قصيدته « دمية » ولكني اخشى عليه غمر السياسة ان يخنق في شعره عرق الحس المترف والخيال الغني .

عمر ابو ريشة

يسير في دنياه موكباً وحده فاذا نظم تململ الحرف غاضباً تارة

وهادئاً تارة وهو عندي شاعر ملحمي يعرف كيف يغدق على الحادثة التاريخية واشخاصها جواً هوميرياً . وهو في غزله مخفق ابداً ، ولقد قرأت له قصائد عديدة وهو من احب الشعراء الي الا ساعة يتحدث في شعره عن نفسه ، فهو والحمد لله عند مطل العمر وبينه وبين نهاية المتنبي مفاوز المستحيل..

محمد البزم

في عام ١٩٣٥ كنت جالساً الى صديقي الدكتور هيكل باشا على شرفة اوتيل بلودان الكبير ويقبل علينا في العشية الاستاذ محمد البزم ليقرأ قصيدته في المتنبي واشهد ان الدكتور هيكل باشا كتب في الساعة نفسها مقدمة للقصيدة بثه فيها اعجابا لا نهاية له ولكني انقلبت عنها وجعلت اسأل نفسي : أسمعت الساعة قصيدة في المتنبي او سمعت قصيدة للمتنبي.. والحق ان الشعر لا يستسيغ النماذج و « الاسطوانات » . لغة قوية متراصة منتزعة من مناجم المعاجم والدواوين.

لبنان

احب ان اواجه الرفاق في لبنان على نحو لم يألفوه من قبل فقد آن لنا ان نترك المجاملة والالطائف الاجتماعية ساعة نتحدث في قضايا الادب ومشاكله . ولبنان هذا الجبل الحائر الذي لم يعط الادب العربي طيلة اربعة عشر قرناً شاعراً واحداً فرداً مدعو اليوم لحمل لواء الشعر .

بشاره الخوري

شاعر دلنا على الطريق ، وأنار لنا في الظلمة يوم لون أحداق عينيه بألوان الصبا الاول وهو أخلد الغزلين في هذا العصر لا استثني شاعراً ولا استثني شعراً ، ولكن المناسبات وأدها الله جنت عليه كما جنت على زميله خليل مطران وهو ولا ريب الجسر الذي عبرنا عليه من الحروف الكالحة والاوراق الصفراء .. الى الشعر الحق.

امين نخله

لولا حيرته هو نفسه بين النثر والشعر والفقة والسياسة والقانون ومغريات النيابة وقضايا الناطور لكان له في شعره شأن آخر .. ذلك ان امين نخله صائغ ماهر يتقلب اللفظ على أنامله تقلب الماس المتوهج ولكن العاطفة عنده عاطفة عابرة لا تنفر من عرق وحس ، وهو لو لم يتزل رحاب الشعر لتزل رحاب الرسم فهو في شعره رسام دقيق الخطوط حميم الصلة بعلم الالوان . ولقد ظلم صديقي بدوي الجبل لبنان كثيراً يوم رفع بأمين الى امارة الشعر...

فؤاد باشا الخطيب

شاعر الثورة عرف مراح الصحراء وهبوات الخيل وكيف يبنى الملك . تقلب بين الملوك فهو في شعره على تيه وعزة ينضح على عبقرية عربية تذكرنا بالنسق المعلى من شعر الفحول ، يعايش الايام ويسجلها في شعره تسجيلا يقظاً مراً .

ميخائيل نعيمه

احبه في تصوفه وأفهم كل اعتزاله واكبر كل الاكبار عمق معالجته لقضايا الحياة ولكني ما قرأت له يوماً شعراً الا وأسفت لان نعيمه الشاعر الحساس المترامي الآفاق لم يوفق في تحديد شاعريته في البحور والقوافي.

الحو مساني

شاعر العروق الضاجة المتلاعبة المتفتحة ، لغته قوية بارعة ، يدخل موضوعه دون المقدمات ، احبه في ثورته ، وفي صوره العارية ، يدور حول المرأة مغرياً وهائماً ، له في الوطنيات قصائد تعلو على شعر المناسبات.

و« حواء » قيثارته الاخيرة ، اغنية الرجولة الحقة ، تملأ في الشعر الحديث مكانة مرموقة.

صلاح لبكي

شاعر غني وثروته في قلبه هذا القلب الرحب الذي يتسع حتى ليحضن الليل ودراريه وجواريه اذا تألم طنا نغم على شعر ينتزع منه الالم انتزاعاً واذا رفل فدهر رافل فرح بهيج.

الياس خليل زخريا

شاعر الجبل والقمم والوديان والسفوح فهو من على القمة يعرف كيف يحب الصحراء يلون خاطره تلويناً شفافاً فلا ينحجب الخيال وراء الطلاسم والمعميات، عربي الديباجة على جرس أرن وموسيقى غامرة ، وعندي ان الياس لو اعتصم في قريته حامات يحنو عليها لاغنى الشعر كثيراً.

يوسف غصوب

شاعر كلاسيكي الشكل متحرر الاعماق اهتدى اخيراً بعد ان كافح وحده في اول الطريق. في « القفص المهجور والعوسجة الملتهبة » نقائض كثيرة وقد تتعبك النقلة بين قصيدتين « صلاة » مثلًا وفي « نداء البواخر الذاهبات ». سليم اللغة أنيق الاداء، له تلامذة ومقلدون.

سعيد عقل

لولا ان بعضهم أفسد عليه الطريق لكان شاعر اليوم لان فيه شاعرية مغداقة يعوزها الاناء. فهو قلق حائر يطبع شعره بالطابع الغربي المشوه، له قصائد قالها قبل تعرفه بفاليري وبريمون وفرلين ورامبو فيها كل الشعر... ترى أنكسبه من جديد... أم يغرق في ضوضاء جماعته...

نقولا بسترس

شاعر ناعم يجنح الى الشعر الغنـائي وقد وفق في هذا النوع توفيقاً كبيراً، ملم بخصائص الموسيقى، مخلص لعاطفته تتجاذب لغته براعة وطلاوة، وهو ولا ريب احمد رامي لبنان.

الدكتور سليم حيدر

شاعر من صدر الرعيل المتوثب على هذا الشاطىء، مجيد مقل تكاد قصيدته لا تتعدى الابيات المعدودات، لكنها تحمل حادثة ترف وهواجس تتراحم، كل ذلك في اداء انيق ونفس حلو وانهار في الاغوار على بصيرة شاعرة والتفات عذب:

الدكتور حبيب ثابت

اول ميزاته الاشراق، ديباجة مشرقة ونفس مشرق، وحماس دافق في دنيـا الوجدان، انسانا شعره الجديد المترف قصائده الكلاسيكية الاولى، فهو من هذه الناحية يرافق التطور الشعري بفهم واخلاص، وسيرى الشعر في « عشتروت » طرفته المنتظرة، لوناً اسطورياً رائعاً...

البير اديب

حفلت صبيحة القرن العشرين بالشعر المنثور هذا الشعر القلق المتقطع الذي لا نغم له ولا وتر ولقـد اغترف ناظموه من معين الاخيلة الغربية فحسبوا ان الـ poème مثلًا هو في اطلاق العاطفة من قيود الموازين والقوافي على ان الـ poème نوع في الشعر لم تعرفه العربية، له عند الفرنجة ما للشعر الحق من المكانة والوضع. على ان هذا القلق يطمئن في اداته الفني عند البير اديب فاذا القطعة عنده متصلة بعضها ببعض في جو شعري حتى ينسيك نغمه الانطلاق من الموازين والقافية. ولقد قرأت له بعض طرائفه فاذا به يحضن الالوان النفسية الطفلة بجدب عجيب. ولغته انيقة.

صلاح الاسير

انا بـعد على ضفة الواحـة استشرف ما وراءها فلنترك للتوأم العجيب الذي تحدثت عنه في العدد المنصرم من الاديب الاجابة على هذا السؤال..

صلاح الاسير

غـادة

✯

لك ، هذا الروض ، زنابقه
وخزامـاه ، وشقائقـه
والغصن الرطب يعانقـه
غرد للفـن على فمـه
وتران ، وفي يده قـلمُ

وليَ الاحـلام تخط يدي
فاها بمـداد من كبدي
يفـتر كثغرك عـن برد
اترشفـه وكأن فمي
بـلاآلئ ثغرك ملتحم

الروض زهـا بك فازدانا
وشيـا وتضوع اردانا
والصبح يوقـع الحـانا
الغصن الرطب لهـا وتر
ونجيّ بـلابله نغم

شيب حيتـك وشبـان
بشقائقـه لا النعمان
وبافئـدة هي رمـان
فيصدرك مضطرب وعلى
وجناتك جمر مضطرم

لم تبصر عيني رمـانا
في العـالم يحمل مرجانا
لكن هنـالك بستـانا
يحلو لي منه، وانت به ،
صدر وبنان يدٍ وفم

انا لا اهوى الاصباغ ولا
طرفاً بالاثمـد مكتحلا
اهوى خـديك اذا حملا
وردا يسقيه من عينيّ
ومن كبدي دمع ودم

اهوى شفتيـك اشمهما
وردا وامسهما عنما
واذا موهت عقيقهما
ايقنت بان وراءهمـا
قلباً كشفـاهك يُتهم

اهوى بك من حور الحدق
ما اسود كخالك في العنق
واحب جمـالك في الشفق
قبلاً يمليها الصبح على
وجنـات الافق فترتسم

تبـدين لعيني شيطـانا
حينـا وملاكا احيانا
يتجلى فينـا انسانا
لجمال الشعر على فمـه
عقـد باللؤلؤ منتظم

يا زهرة منثور اليـاسم
يزدان به الزهر النـاجم
في النفس الى فمـك الباسم
اشياء تهم النفس بهـا
وتراك العين فتحتشم

لحظـات الصب تحوم على
شفتيك لتشتـار العسـلا
وتكاد تحولهـا قبـلا
نفس يترامى الشوق بها
وتعز بساحتهـا الشيم

الحوماني

تمحيصات معجمية بالثنائية والالسنية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

الحج وموضعه

اثبتنا في « المعجمية العربية » ص ٤٩ ي ي، ان « الحج » كلمة ثنائية ، وهي اسم صوت يدل على اجهاد النفس ، انتقل الى معنى الرقص ، ثم الدوار ، فالاحتشاد ، فالموسم ، فالعيد ، فالقصد لزيارة احد المقادس.

قال الشيخ العلايلي في مجلة « الاديب » هذه الغراء (آب ٤٣، ص٥٧) هذا تحقيق جد دقيق ، ولا مرية في انه جد صواب ايضاً. ولكن بقي شي. مهم وهو الدلالة على المكان الخاص الذي يُؤَم بالذات. وبما ان العربية لا تزال تحفظ في «حَجَو» معنى الزمزمة وهي اصوات الكهان ، ولا يزال هنـاك اسم اثري يدل على هذا وهو « زمزم » اسم البئر في مكة ، وفي « وَحَجَ ، الوَحَجة » بمعنى المكان الغامض، أقدّر ان «حج» في اقدم معانيها تدل على الزمزمة، وهي دمدمة الكهان بأناشيدهم الدينية ، ثم دلت دلالة جغرافية على المكان الغامض الذي عنده تجري اشكال هـذه الاناشيد. ولما كانت صلاة القدامى في الاماكن المقدسة ، رقصاً ، كما هو الحال عند المتوحشين اليوم ، اكتسب لفظ الحج معنى الرقص ، فهو معنى مستحدث ».

قلت : « انا لا أومن الا بالنصوص ، وبالنصوص ممحصة » فاذا لم يبسط العلايلي شيئاً منها ، فها اناذا آتي بها.

لنبحث اولاً عن اصل « زمزم والزمزمة » وبعد ذلك نرى ما يجدر ان يقال على « حج » بمعناها. نتناول الموضوع من ناحيتين: الناحية الاشتقاقية الثنائية والالسنية ، ثم الناحية التاريخية.

أ) الناحية الاشتقاقية الثنائية والالسنية.

المادة « زم ، زمزم » واردة في العبرية، والسريانية ، والعربية.

العبرية : اول فحوى Zamm الشد والحزم. ومن باب المجاز، جاء هذا اللفظ بمعنى : تأمل ، عزم ، ارتأى ، وكلها تدل على الحزم والشد معنوياً.

Zamzam : طن، رن. Zimzum : طنين، صنج. Zamzam مزمار. راجع المعجمين التاليين : (A. Elmaleh : Dictionnaire hébreu-français, p. 411, 412.) (hebreu-english lexicon, by Brown etc. p. 373).

السريانية : Zam شد ، زم ، طن ، رن ، صر ، خزم ، Zamzem زمزم ، رعـد ، هدر ، تراطن ، أدار صوته في خيشومه وحلقه دون تكلم ، ذاع ، انتشر.

Zmâmâ : زمام ، خطـام ، خزامـة ، شنف ، قرط Mazmânutâ زمزمة، دوي، طنين Msamezmânâ زمازمة ، مجوسي.

(راجع « دليل الراغبين » معجم ارامي عربي ، المطران منّا ص ٢٠١ . ثم « اللباب » للقرداحي ج ١ ص ٣٥٣).

العربية : زمّ ، شد ، والرجل برأسه : رفعه ، والبعير بانفه : رفع رأسه لالم به ، والقربة : ملأها فارتفعت، وناب البعير : نجم ، والزنبور : صوّت . إنزم : اشتد . الزمام : ما يزم به ، والنعل سيرها الذي يشد به الشسع . زمزم الشي. : حفظه وجمعه ورد اطراف ما انتشر منه . وزمزم الشي. : سمع صوته من بعيـد وله دوي ، والرعد : صوت متتابعاً ، والخيل : جمجمت ، والنار : سمع للهيبها حسيس . وشفتـا الجمل : تحركتا . زمزمة العلوج : تراطنهم عند الاكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، لكنه صوت يـديرونه في خياشيمهم وحلوقهم، فيفهم بعضهم على بعض. قال الجوهري: الزمزمة كلام المجوس عند اكلهم وفي حديث عمر : كتب الى احـد عماله في أمر المجوس : وانههم عن الزمزمة . واصل الزمزمة صوت المجوسي وقد حجا . ماء زمزم وزمازم : كثير . زمزم : بئر في مكة. ماء زمزم وزمازم وزوزم « اذا كان بـين الملح والعذب. » (راجع لسان العرب ج ١٥ ص ١٦٤—١٦٦).

تطور معاني « زم وزمزم » :

في اللغات السامية الثلاث الوارد فيها هذا الحرف ، يدل الثنائي ومكرره على الشدة اولا في العمل ، ومنه الحزم والربط ، ثم الحفظ والجمع والحركة ، ثم النجوم ، وانبجاس الماء من العين . واذ كان عمل نبوع الماء يصدر عنه صوت ، جاء « زم وزمزم » بمعنى الصوت الخفي ، او الصوت البعيد ، او حسيس لهيب النار ، او حمحمة الخيل ، او دوي الرعد ، ثم صوت تكلم الانسان ، او ترنيمه ، واخيراً تخصيصه لقبيل من الناس ، وهم العلوج او المجوس ، اي كلامهم او تراطنهم عند اكلهم .

ب) الناحية التاريخية لاصل « زمزم » .

مصدر قصة « زمزم » الحديث النبوي والتقاليد الاسلامية .

« زمزم » بئر قديمة ترجع الى زمن اسماعيل (ع) . فان امه هاجر لما نزلت به الى مكان البيت ظمئ ولدها ، وطلبت الماء فلم تجده . فجاء جبرائيل (ع) وبحث الارض بعقبه — وفي رواية غمزها بعقبه — وكلتاهما في صحيح البخاري . فنبع الماء على وجه الارض . فكان ذلك نشأة « زمزم » وادارت هاجر عليه حوضاً خيفة ان يفوتها الماء قبل ان تملأ قربتها . قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عيناً تجري على وجه الارض . (عن مرآة الحرمين ، لمؤلفه ابراهيم رفعت باشا . ج ١ ص ٢٥٥) .

جاء في المعلمة الاسلامية باللغة الفرنسية ، بقلم المستشرق Carra de vaux (ج ٤ ص١٢٨١) ما هذا ملخصه : طبقاً للحديث والتقليد الاسلامي ، يرتقي اصل بئر زمزم الى اسماعيل وهاجر حصرت ماءه الذي انبثق بغمز عقب جبرائيل . وهي بئر مكرمة منذ القديم ، احترمها الجرهميون ، واعتبرها الفرس في الجاهلية . اذ يقول شاعر منهم ان ساسان بن بابك جد الاسرة الساسانية (التي حكمت من سنة ٢٢٦—٦٣٢ بم) زار هذه البئر . وعلى رأي المسعودي ليس الجرهميون طمروا البئر ، ودفنوا فيها كنوزهم ، بل الفرس . اما البتنوني فيورد ابياتاً لشاعرهم بعد الاسلام :

وما زلنا نحج البيت قدماً ونلقي بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى اتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروي الشاربينا

وقال غيره :

زمزم الفرس على زمزم وذاك من سالفها الاقدم

(الرحلة الحجازية للبتنوني ص ١١٣) . وحسب رأي البتنوني المذكور (ص ١٢٧) ان الاعراب يكادون يلصقون زمزم بنفس اركان الحج . وان الواحد منهم اذا حلف يقدم زمزم على مقام ابراهيم ، فيقول : والبيت الحرام وزمزم والمقام ، فعلت هذا . بيد ان الغريب ان لا ذكر لزمزم في جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة . (البتنوني ص ١٧٨) .

وللحجيج اعتقاد كبير في ماء زمزم . واما طعمه فيقع من اذواق الناس على نسبة اعتقادهم . فمنهم من يجده حلواً كالعسل ، وغيرهم يرى خلاف ذلك . قال المعري :

تباركت ، انهار البلاد سوائح بعذب ، وخصت بالملوحة زمزم

وبالحقيقة ان اهل مكة . لا سيما في غير موسم الحج ، لا يشربون منها لملوحتها ، اي لكثرة ما فيها من الصودا والكلور والبوتاس . (البتنوني ص ١٢٧) .

بعد سرد هذه النصوص علينا تمحيصها . فنتساءل ، بادىء ذي بدء الى اي من المعاني الموردة اعلاه يحلق بنا منطقياً ان نعزو اصل زمزم ؟ ألى زمزمة المجوس ، ام الى « زمزم » العرب .

اما رأينا الخاص فهو ان اصلها صادر عن « زمزم » العرب ، ولا عن زمزمة المجوس .

اولا : ان « بئر زمزم » كانت موجودة في بلاد العرب ومعروفة بهذا الاسم ، قبل منشأ الدولة الساسانية التي كان مؤسسها الحقيقي ، طبقاً للتاريخ الصحيح ، الملك اردشير الاول بن بابك بن ساسان ، وقد حكم هذا الملك في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد .

ثانياً : ان الشواهد الشعرية الواردة اثباتاً لذلك وضعت بعد اسلام الفرس ، وباللغة العربية ، ودون ذكر اسم من قالها . والحال ان ابن العيني يقول ، في عمدة القارئ ، وهو تفسيره لصحيح البخاري ، (ج ١ ص ٦٤٥) : ان الفرس ، بعد اسلامهم ، بغية منافسة العرب حاولوا اثبات التقليد الذي به يدعون انهم من ذرية ابراهيم . ولهذا يزعمون ان ساسان بن بابك كان قد زار الكعبة ، وهو الذي طمر في البئر المذكورة السيوف والزمازم . ومن هنا جاءت تسمية البئر « زمزم » (راجع السفر الفرنسي المعنون : Pélérinage à la Mekke , par Gaudefroy-Demourlignes pp 71 ss)

واستناداً الى هذا الرأي ، رأي ابن العيني والمستشرق الفرنسي يسوغ الاستدلال على ان هذه الابيات موضوعة . هذا بمعزل عن ان المعنى المطلق فيها على زمزم والزمزمة ليس الصوت بل دلالة الازمة ، او دلالة التجمع ، كما شرح البتنوني كلمة « زمزم » .

ثالثاً : مما يجب ملاحظته ان نسبة الزمزمة الى المجوس ليست

من باب المديح ، لا بل من قبيل السخرية – على مثال ما يفعل ابناء كل لغة بالاغراب الذين يسيئون التكلم بهـا – والزمزمة مرادفة للرطانة . وهذه تدل على الكلام الاعجمي . والرُطنى هي الكلام غير المفهوم . ورطن الثلاثي صادر عن الثنائي طنّ طنيناً : صوت الذباب او غيره ، او صوت الطست والناقوس – وكله لا ينسب الى الناس . اذن اسم «زمزم» لا يأتي من زمزمة المجوس .

فهل هو ناجم عن « زمزم » العرب؟ الجواب : نعم . وذاك :

اولا : ان العرب هم الذين اطلقوا هـذا الاسم على البئر ، اعتماداً على الحديث القائل بان المـاء نبع او انبجس او زم امام اسماعيل وامه هاجر بغمز عقب جبرائيل . وهذا موافق لمعنى«زم» الدال، كما رأينا اعلاه، على الشدة والارتفاع والامتداد،والتفجّر .

ثانياً : تحققنا ان « زم » يعني الشدة الحاصلة عنها الملوحة . والحال عرفنا من شهادة البتنوني ، وقبله ، من شهادة المعري ، ان ماء زمزم مالح .

ثالثاً : ان « زمزم » يعني الماء الكثير الغزير ، وهي خاصيّة « بئر زمزم » فان ماءها وافر . ويذكر انه في القرن العـاشر الميلاد فاض فيضاناً غير مألوف غرق فيه عدد من الحجاج . (راجع المعلمة الاسلامية في الموضع المذكور ج ٤ ص ١٢٨١) .

اما الان فيمكننا بعد هذا البسط المفصّل ، ان نقول بايجاز ما نراه في شأن « حج » ودلالتها على موطن الحجج ، اننا لا نجحد ورود الزمزمة منسوبة الى المجوس اذ نقرأ في لسان العرب وتاج العروس المخصص : الزمزمة شعار المجوس ، زمزمة المجوس في حجاتها ، واصل الزمزمة صوت المجوسي وقد حجا . « التاج ١٠–٨٣ ، اللسـان ١٥–١٩٤–١٩٦ ، المخصص ٢–١٣٧ » الا انهذا بعيد عن موضع الحج . فاذا كان «زمزم» لا علاقة لاصلها بزمزمة المجوس ، بل صلتها وثيقة بتبجس الماء وغزارته وجب القول ان كلمة حجا المرادفـة لزمزم زمزمة المجوس لا واشجة بينها وبين « بئر زمزم » . اما وَحَج ومنه«الوَحَجَة»: المكان الغامض،فهو كذلك قصي عن الموضوع . دونك ما ورد في تاج العروس في هذاالخصوص (٢–١١٠) وحج : الوَحج : الملجأ . هذه المادة اهملها الجوهري وابن منظور . «الوَحَجة» المكان الغامض (واظنه تصحيفاً . فانه سيأتي للمصنف في «وَحَج» هذا الكلام بعينه . ولو كان لغة صحيحة لتعرضلها ابن منظور، لشدة تطلبه في ذلك» . وهاك مادة « وَجَح » («ج ٢–٢٤٤») الوجاح الستر . المُوجَح ، كأنه أُلجئ الى موضع يستره . قال الازهري : المحفوظ في الملجأ ، تقديم الحاء على الجيم . فان صحت الروايةفلعلهما لغتان . « وحج الثلاثي من الثنائي حجّ : بسط الشيء . الحج كل شجر انبسط على وجه الارض . كأنهم يريدون الحج على الارض اي انسحب . حجّ الشيء سحبه » (تاج ٢–١٢٩) وهذا موافق لوَجَح بمعنى ستر . لان الشيء الممتد على الارض يغطيها ويسترها . فاذن « الوَجَحَة » بمعنى المكان الغـامض مبهمة مصحّفة لا يعتمد عليها . اما « الحجّة » فهي ثقبة الحجة الاذن . وهي ايضاً خرزة او لؤلؤة تعلق في الاذن . لانها مثقوبة . وهذا منطبق على طائفة من معاني حج وهي : حجّ سبر الجرح ليعرف غوره ، وكفّ وامسك وقطع ، وقاس ، قطع العظم من الجرح واستخرجه . وكل هذا لا عـلاقة له بموضع « زمزم » ولا بموضع الحج . فلا يمكن ، على رأينا ، ان « حجّ » في أقدم معانيهـا ، تدل على الزمزمة . وهي ليست زمزمة الكهان ، وحين تنسب الى المجوس لا تدل الا على اصواتهم الخفية وقت الاكل ، ولا يراد بها اناشيدهم الدينية ، ولا تطلق جغرافياً على المكان الغامض الذي تجري عنده اشكال هذه الاناشيد . بل يبقى حسبما اثبتنا في « المعجمية » ان معنى «الرقص» ليس بمستحدث بل هو أقدم مدلولاتها .

نظرة في اصل « سورة »

في الشعر والقصص والروايات ، المجال واسع رحيب المخيّلة ، فيه تسرح وتمرح بكل حرية واطمئنان . لا بل نقول انه من الضروري ان تكون هذه القوة الواهمة حادة مرهفةفي من يزاولون هذه الفنون من الادب . اما في ميـدان التقصّيات والتدقيقات اللغوية والالسنية ، الا فلنحذرن كل الحذر ، نحن المتخصصين لمثل هذه العلوم ، من آفات هذه الحاسة الموبقـة . وعلينا ان نروضها ، غير مرخين لها العنان ، لئلا تركب هواهـا فتجمح بنا ، كما لقد طالما جمحت بقوم طوّحتهم في ترهات بسابسها . ان الدراسات اللغوية ليست بمفتقرة الى المخيلة ، لكونها علوماً تحسسية ، وضعية ، ومادة الجائها النصوص التي عليهـا الاعتماد ، والا خرجت النتائج صرف تكهنات وتخرصات . في شأن اصل كلمة « سورة » انا باق على رأيي غير متزعزع . وعندي انها من «صُورَت» السريانية . وقد بنيت قولي على أسّ براهين السنية ، ثنائية ، ثم اجتماعية ، جغرافية ، دينية . فمن أحب استطلاع ذلك فليراجع«المعجمية العربية» (ص ١٢١) .

اما النظر في رأي حضرة الصديق اللغوي الشيخ العـلايلي فلا يتطلب الاطالة ، بل يكفي ابـداء شيء من الملاحظات . قال ، حفظه الله ، في مجلة « الاديب » (آب ص ٥٧) : « عندي ان هذا

الثنائي يدل في الخيال البدائي على شعاع السماء . ولذا قال العرب : سار يسير ، للسير في شعاع السماء النهاري ، وسرى يسري ، للسير في شعاع السماء الليلي . » قلت : هذا الثنائي الذي يفرضه الاستاذ هو « سر » ومنه سر المضاعف ، وسار الاجوف ، وسرى الناقص . « سر » الثنائي في معناه البدائي ، المادي ، المحسوس ، لا يدل على نور او شعاع السماء النهاري ، ولا على الشعاع الليلي ، لا بل ولا على النور او الشعاع من باب الاطلاق . انما المراد به « القطع » . وهو يقابل الثنائي الآخر « صر » الذي يعني « القطع » ايضاً في العربية واخواتها السامية مثل السريانية والعبرية . ولا تظن اننا نرمي القول على عواهنه ، دون دعمه بالنصوص اللغوية . دونك فعل « سر » . يقال : سرّه سرّاً : قطع سرّه او سررَه . «والسرر» يدل على ما يتعلق من سرة المولود فيقطع . او ان « السرر » ما قُطع فذهب و« السرة » ما قُطع فبقي . يقال : عرفت ذلك قبل ان يُقطع سرك . الحديث : « وُلد النبي معذوراً مسروراً » اي مقطوع السرّة ، وهو ما يبقى بعد القطع ، مما تقطعه القابلة . ويقال : تسرر الثوب : تشقق ، اي تقطع . (راجع لسان العرب ٦ - ٢٤) .

من « سار » الاجوف ، جاءت كلمة « السير » وهو ما يقد من الجلد ، او ما يقد من الاديم طويلاً ، او هو قدة من الجلد مستطيلة ، اي ممتدة اما بسطاً واما ارتفاعاً . ومن ذلك « سار » : ذهب ، اي امتد به السير في جهة توجه اليها . والسائر هو قاطع الطريق . من السير والامتداد جاء « سر » : كتم ، اخفى ، اي مد الشيء الى الداخل ، فقطعه عن الانظار . ومنه « السر » الشيء الخفي . ومنه « السرور » وهو الفرح الداخلي ، ثم اطلق على الفرح دون قيد . من معنى القطع صدر « السر » واحد اسرار الكف ، لخطوطها من باطنها (اي اخاديدها) . ويطلق السر على خط الوجه والجبهة وفي كل شيء . والاسارير الخطوط التي في الجبهة من التكسر فيها . (اي التخدد والتقطع) (تاج العروس ٣ - ٢٦٣) .

. دونك الان معاني « سرى » . ان هذا الناقص ، على مثال الاجوف ، لا يدل في الاصل الا على الذهاب . « سرى » مضى . يقال سرى عرق الشجر : دب تحت الارض . السري : النهر الصغير يجري الى النخل ، اي يدب . ومن المجاز : الليل اذا يسر ، اي اذا يُسرى فيه . سرّى العرق عن بدنه : اذا نضحه . سرى فيه السم والخمر ونحوهما : دبّ . سرى همه : ذهب . اما من جهة السير في النهار او الليل ، فقد ورد ان السير يطلق على الذهاب نهاراً وليلاً دون تمييز . من ذلك : سرت امس نهاراً ، والبارحة ليلاً . ومع الزمان حصل التقييد ، حسب استعمال القبائل . فجاء سار : ذهب نهاراً ، وسرى : ذهب ليلاً . مثاله : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً » . معناه سيّر عبده . والسرى : سيرُ عامة الليل ، او اوله ووسطه وآخره . (التاج ١٠ ص ١٧٣-١٧٦) وقد ورد في المصباح (ج١ ص٣٢٥) « سريت الليل وسريت به» والاسم السراية : اذا قطعته بالسير . سريت سرية من الليل . (فالسير اصله القطع ، والسرى في الليل : قطع جزء منه) قال ابو زيد : ويكون السرى او الليل واوسطه وآخره . (اي كل هزيع من هزعه) وجاء السرى بمعنى السير عموماً . قال جرير :

سرت الهموم فبتن غير نيام واخو الهموم يروم كل مرام

قلنا : في كل هذه المعاني الاصلية والمتطورة نرى اولا القطع ، ثم الامتداد طولا او داخلا او بسطاً . ثم الذهاب ، واخيراً من باب التقييد ، السير : الذهاب نهاراً ، والسرى : الذهاب ليلاً ، وهو قطع المسافات . وورد استعمالها الواحد عوض الاخر . وليس في كل هذه المدلولات من علاقة البتة بالنور او الشعاع عامة ، او الشعاع السماوي خاصة . نعم في النهار يضيء نور الشمس ، وفي الليل يسطع ضوء القمر ، او يتلألأ وميض النجوم . لكن ليس من دلالة على ذلك في « سر ، وسار ، وسرى » . لانه في الليل والنهار نجد الانسان يأكل ويدرس وينام ويتكلم ويلعب ، كما انه يسير ويذهب . ولا نستنتج من هذا ان هناك رابطة بين معاني هذه الالفاظ وبين نور الشمس او القمر او النجوم .

اما « السورة والسوار » فدونك ما جاءت به المعجمات في ذا الشأن : « في حديث صفة الجنة » أخذه سوار فرح . وهو دبيب الشراب في الرأس ، اي دب فيه الفرح دبيب الشراب . سورة الشراب حُميا دبيبها في شاربها . سار الشراب في رأسه : دار وارتفع . سار الرجل : وثب . السورة : الوثبة . السوار من الكلام الذي يأخذ بالرأس (الذي يدب ويثب فيه) . ساور فلاناً : واثبه . (التاج ٣ - ٢٨٣) . في كل هذا نلفي الدبيب والوثب والارتفاع . وفيه تدرج طبيعي : الدب مشي ، والوثب مشي فيه بعض الارتفاع ، والارتفاع الصعود التام . وفي كل ذلك ليس من ذكر او تلميح للشعاع ، ولاسيما للشعاع السماوي .

اما « السراة » فالاصل فيها ايضاً من « سر » بمعنى القطع ، ذلك القطع الحاصل اما بالامتداد واما بالارتفاع . من ذلك جاء «سرا يسرو» دالاً على الكشف والانكشاف ، ومن الانكشاف

الظهور ، والظهور فيه علو وارتفاع، ومن الارتفاع (مجازاً) الشرف والسخاء والمروءة والسيادة . فالسري والسراة : شريف القوم واشرافهم . لكن عن هـذا اللفظ لا ينجم ادنى علاقة لهؤلاء بالسماء وبالآلهة . اذ ليس من نص مورد في ذا الشأن.

على ان حضرة الاستاذ العلايلي ، بعد ان شيد هـذا البناء المتصاعد من الارض الى السماء واشعتها ، نراه متردداً كانه لا ايمان له بما يرتئيه ، فيقول : « على اني لا استبعد ان تكون « السورة » محرّفة عن كلمة « سفر » . فان الفاء والواو كثيراً ما تتعاقبان ». وكأني بالشيخ الكريم قد نسي اننا نحن الثنائيين لا نقبل الحروف المعتلة اصلاً في الاجوف والناقص، اذ هي في نظرنا صرف مد في الحركة . فلا نفرض ان قال اصله قول وان سرى اصله سرو او سري . فان كانت الواو في « سورة » غير اصلية ، فلا مندوحة لها للتعاور مع الفاء.

مهما يكن من أمر ، فعندنا ان لفظ « سفر » ليس من « سر، او سار، او سرى » بل الفاء فيه اصلية والراء هي الزائدة . وهذا ملخص مقال معقود لدينا في اشتقاقه حسب الثنائية والالسنية السامية .

أصل حرف « سفر » من الثنائي « سفّ » الدال على الحركة حركة مرور الطائر على وجه الارض . زيدت عليه الراء تذييلاً ، فاصبح « سفر » في العربية ، اعني خرج الى السفر ، والسفر قطع المسافات بوسيلة من وسائل النقل . من فكرة السفر او التنقل نجمت فكرة البعث او الارسال الظاهرة في الاكدية (الاشورية البابلية) بكلمة Saparu : أرسل ، بعث برسالة اومكتوب. من ذلك Sapiru : الكاتب ، ولفظة Sipru او Sipirtu : رسالة ، ألوكة . وفي العبرية Sêfêr : رسالة ، مكتوب، كتاب، مستند . و Sâfar : كتب ، حسب ، علّم ، نشر ، و Sôfêr كاتب ، ناسخ ، مؤلف معلم ، ملفان ، او دكتور، كما يقال اليوم. وفي السريانية ، جاءت كلمة Sfar : شفر ، بري ، كتب ، سفر، بحث ، و Sâfrâ : كاتب ، مسجل ، عالم ، و Sefra : سفر ، كتاب ، كتابة ، لغة ، وفي العربيـة : سفر الكتاب ، كتبه . والسافر : الكاتب ، جمعه : سفرة ، والسفر : الكتاب ، والسفورة : جريدة من الالواح يكتب عليها ، فاذا استغنوا عنها محوها ، مثل السبورة . (للبحث صلة)

الاب مرمرجي الدومنكي — القدس

تطلب الاديب

*

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد يوسف بو ديب
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي « السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	« الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد اديب ماوح
بغداد	«	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
الموصل	«	« الشعب لصاحبها السيد سعيد احمد
الحلة	«	مكتبة الفرات لصاحبها السيد مهدي عباس السعيد
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً ، في العراق بـ ٧٥ فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان بـ ٧٥ مليماً.

قاموس الفكاهي

بقلم شفيق طباره

عندي قاموس من نوع جديد في اللغة العربية سميته القاموس الفكاهي لاني راعيت في شرح كلماته جانب الهزل الى جانب الجد فجاء كل معنى من معانيها نكتة محكمة تثير فيك الاعجاب وتستخرج منك الضحك وكل ما اصبو اليه ان اعرض امامك صوراً فكاهية جامعة لضروب الدعابة الدمثة والمزاح الرقيق.

حاول ان تتأمل الفاظه تجد في معانيها ما يزيل عنك الكآبة ويغنيك – بالضحك – عن ثلاثة ارباع ما في الصيدليات من ادوية لان كل لفظة مرتجلة تجعلك تنفجر بضحكة وضحكة واحدة في نظري خير الف مرة من حبة رودين او قرص اسبرين ... والان وبعد ان تبيّنت ما توفر في هذا القاموس فهلم واقرأ او هلم واضحك ..

الابرة – زوجة الدبوس.

المحامي – رجل يكذب بقانون.

المحامي ايضاً – (متر) ... وهو غالباً كيلومتر ...

الكاراج – مستشفى للسيارات.

طبيب اسنان – رجل ينزع قوته من افواه الناس.

حواء – اول قطعة كستلاتة.

امرأة مثقفة – سيدة كعبها عالي ... في العلوم.

القنينة – سلاح السكارى في آخر الليل.

المستشرق – رجل يركض خلف ... العربية.

سائق سيارة – رجل يدير ظهره ... للعالم.

القروش – اولاد (الليرة) الصغار.

المديون – مخترع كلمة (غداً).

المديون ايضاً – مستنبط سين التسويف.

الارمل من الرجال – من المحاربين القدماء.

الوباء – العصر الذهبي ... عند الاطباء.

زيد – بطل العالم في الضرب ... النحوي.

الولد البكر – الطبعة الاولى.

دبس – اخ للعسل فقير.

لبنان – (مروحة) ... الشرق.

يد مبسوطة – (عرض ... حال) الفقير.

يد مقبوضة – يد غضبانة.

يدد مقبوضه ايضاً – يد مملوءة صفعات.

الجيوب – محطات للدراهم.

المسدس – ابن البارودة.

الطيار – انسان روحه في كفه.

القرد – جد العلامة دارون ...

القرد ايضاً – انسان كاريكاتوري..

البخيل – رجل قلبه خزانة من حديد.

الغني – رجل (نفسه في) .. كيس نقود.

الحرب – حالة طبيعية

السلم – حالة استثنائية.

الحرب – عملية ضرب وطرح وقسمة ثم غلط في النتيجة.

السلم – التأهب لحرب قادمة.

القبلة وجمعها قبلات – مقبّلات الحب.

قبلات حارة – كاسات هواء..

الشرف – اداة.

المستشفى – الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة.

الصياد – عضو في جمعية الرفق بالحيوان.

اسكندرونه – ابنة الاسكندرية الصغرى.

الاوسمة – لعب يلهو بها الصغار والكبار.

الزلزلة – ارض تتثاءب.

الزلزلة ايضاً – ارض تتأهب لرقص الرومبا.

المدرسة – معمل لاعداد شبان عاطلين عن العمل.

اللص – رجل باعه طويلة .. في انتهاز الفرص.

كيلو – ثلاث اواق على ذمة باعة سوق الخضار.

الكيلو ايضاً – وريث الرطل.

القزم – مختصر الانسان.

(مراقبة)

قلم الحبر – حنفية الدماغ.

الحرج – شعرات الارض.

يوم الاستحقاق – آخر يوم للمحكوم عليه .. بالدفع.

فتاة العصر – فتى بدون شارب.

رجل احدب – غلطة مطبعية.

الجنون – عقل مات.

الرسن – حبل يستعين به البهيم ليقود صاحبه.

السلالم — مناشير العمر .
امرأة مطلقة — كتاب مقروء .
الحوت — المكان الذي سكنه النبي يونس ثلاثة ايام وثلاث ليال .
نائب — مذكر (نائبة) . .
تاجر — اسم مركب من (تاء) التقي و (الف) الامين و (جيم) الجريء و (راء) الرحيم .
فلان — اسم يطلق على كل انسان .
فلان ايضاً — مرادف (هست) ! . .
الحبر — لعاب القلم .
الزيت — بضاعة علي (بياع الزيت) .
تنازع البقاء — بقاء التنازع .
الملح — مادة تذوب . . هياماً بالماء .
الايام — مجاذيف العمر .
قاسر — فعل (سرقَ) لابس ردنكوت
نواة النخلة — نخلة مخزونة في نواة .
البئر — في علم الهندسة : مأذنة مقلوبة .
رماد — نارشابت .
روتر — (كشّاش) انباء .
الغمزة — برقية لاسلكية .
ان — من اخوات (لكن) في الرضاعة .
عملة زائفة — عملة ممنوعة من الصرف .
كلب — ثعلب متمدن .
الندى — دموع الاعشاب .
العاشق — اعمى بنظارات .
سجل الموظف — ضريح معاملات الناس المستعجلة .
بركان — ارض تتنهد .
دكان الصائغ — أقرب مكان الى قلب المرأة .
امرأة عجوز — (مجموعة . . سنين .
مقصف (بار) — صيدلية القرن العشرين .
الذهب — ما قد ذهب .
حصيرة — سجادة الفقير .
خادمة — ملحق بالعائلة . .
اللسان — مرآة المعدة .
طالب ازهري — مشروع عالم .
الالماس — فحم واظب على الهدوء فارتقى .

الطبيب — رجل يحيا من امراض غيره .
تنهدات العشاق — دخان المحبة .
الخمارة — مكان بيع (الجنون) بالاقداح .
الصديق — من لا اعرفه .
الاحسان — تصحيح لخطأ وقع في الطبيعة .
الاصطبل — منتدى . . للخيل .
حبل المشنقة — آخر ربطة رقبة .
الشبابيك — عيون البنايات .
المعتوه — رجل اعور العقل .
التيس — قائد جيش الماعز .
الغصن — ذراع الشجرة الممدود .
القمة — شيء يقول لنا : قم .
المحاية — اداة تموت بالحك . .
الجفاء — محبة حردانه .
العصا — (نبوت) مودرن .
الجواسيس — عيون الدول .
الساعة — بيت الزمن .
المرآة — بيت سر المرأة .
المقيط — شركة مساهمة .
الصيدلي — طباخ عند الطبيب .
التلقيح — عملية وحي ابي نواس القائل (وداوني بالتي كانت هي الداء . .)
حسناء — امرأة نصفها من المزين ونصفها من الخياطة .
السيف — ابو الخنجر .
الخنجر — لسان القوة .
بيوت الدعارة — مزبلة الاخلاق .
خاتم الخطبة — حلقة من سلسلة تشد المرأة طرفها في اصبع الرجل الذي تكرهه .
الامثال — دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس .
الاخرس — رجل يتألم ولا يتكلم .
جوز — الاسم الاول من جوز الهند وجوزفين .
الجسر — بناء تنشؤه الحكومة لمنفعة المتعهدين .
الاذن — محل قلم النجار .
المنافق — رجل لبس (وجدانه) مقلوباً .
الذبابة — طائرة لنقل الجراثيم .

رد تحية

كسرتْ لحظهـا تقول صباح الخير. أهلاً ومرحبـاً يا صباحي
يا صباح الرضا اطلّ، ويا دنيـا استهلّتْ، ويا رفيف الاقـاح

هوّد الوردُ في جبينك للصبح، فاغفى وراح بالورد يحلمْ
واستفاق المساءُ، سكران في هدْبيك، يحبو، معقد الظلّ مبهمْ

وكأنّ الريحان قد طلّ اذ دُسْت عليه، والروض اذ لحت برعمْ
حسباك نيسان، فاختلجـا شوقاً، وقيل الربيعُ قد لاحَ، او همّ

آمن العطر حـين مرّ بنهديك، وقال الضحى، هنيئاً لثوبكْ
ولوى الحبّ جيده، ومشى عبـداً ذليلاً، على ثنيّات دربك

ايه سمراء! قبلة منـك، او بعض، وايماءة، قليـل كثيرُ
ليتني الليـل حين لفّك يا سمراء، والحلم اذ سرى، والسريرُ

حمص — وصفي قرنفلي

العانس — رسالة محفوظة بشباك البريد.
الصحراء — يد مبسوطة تتسول الماء.
البورصة — مكان فيه حيـاة رقاب المضاربين متوقفة على سعر القطع..
العطسة — زلزلة الجسم.
شريط تلغراف — اختراع (بل) لمستراح الطيور.

تسديد الدين — من السداد.
الاصابع — شوكة ابينا آدم.
دواة حمراء — البحر الاحمر في دواة.
الخضاب — عملية ترميم وترقيع.
الانتحار — موت قبل الموت.
المعلم — طفل صغير في وعاء كبير.

شفيق طبارة

الحياة الادبية في العراق

بقلم مهدي القزاز

في الوقت الذي يبحث فيه الادباء والكتاب في مصر وسوريا ولبنان عن الحياة الادبية في بلادهم وعن الجو الثقافي الذي يعيش فيه الادباء في هاتيك البلاد والتيارات الذهنية التي تتقاذفهم والدراسات الادبية التي قاموا بها والكتب التي اصدروها فخدموا ادب امتهم وبـلادهم ورفعوا من شأن الفكر العربي وخلقوا جواً ادبياً والتاعاً ذهنياً في نفوس ابناء الامة وشباب البلاد.

اقول في مثل هذا الوقت يكون الادباء في العراق منزوين على انفسهم لائذين بالصمت التام عن كل ما يدور في العالم العربي من شؤون ادبية وثقافية لا يحفزهم الى الكتابة اي حافز مهما احتدم في الجو الادبي من دراسات ومناوشات بين شيوخ الادب وشبابـه ومفكريه وفلاسفته .

وليس سكوت الادباء والمفكرين في العراق عن الاشتراك في البحوث الادبية والقضايا الذهنية والتأليف الثقافي وعزلتهم عن ادباء الامم العربية سببه قلة في المادة الادبية وعدم نضوج في الثقافة وضآلة في التفكير ، ففي العراق ادباء ومفكرون كان لهم جولات صادقة في ميادين الثقافة والتفكير والادب سواء في صحف بلادهم أم في صحف البلاد العربية الاخرى ومجلاتها وكانت دراساتهم الادبية وشعرهم مبعث اهتمام كبار ادباء البلاد العربية ونقادها ممـا يدل على سلامة تفكيرهم وعلو ثقافتهم في الادب والسياسة والاجتماع...

ولكن هؤلاء الادباء الان يكاد الخمول يقتلهم وشؤون العيش تدير تفكيرهم وتحتل كل اوقاتهم . ففهمي المدرس صاحب البحوث والدراسات في الثقافـة السياسية منزو على نفسه في داره لا يغادرها الا لماماً . ومصطفى علي دارس الادب العربي القديم ومن كبار الكتاب الذين يجمعون في أبحاثهم بين سلامة اللغة ودقـة التعبير قد قنع بوظيفة مفتش في مديرية « الطابو » العامة يبحث في اوراقها القديمة عن اخطاء المدققين بعد ما كان يبحث عن اخطـاء كبار الكتاب والناقدين .

والدكتور مصطفى جواد تلميـذ « الكرملي » ومن فحول اللغويين في العراق الذين امتازوا ببحوثهم اللغوية الثميـنة ونقدهم لآثار كبار الكتاب المصريين الذين قدروه حق قدره وافسحت له مجلتا المقتطف والهلال لنشر مقالاته وبحوثه في اللغة والادب والنقد. فهذا الدكتور الان قانع بوظيفة التدريس بدار المعلمين

وابراهيم صالح شكر صاحب جرائد اليقظة والزمان والمستقبل والناقد السياسي الكبير وصاحب البحوث الطريفـة في الادب والتحليل الشخصي قانع بوظيفة بوزارة المعارف لا يفارقها الا لمقهى او لدار غير مهتم بما يجري في عالمه من ازمات ادبية او سياسية .

وكذلك احمد حامد الصراف صاحب دراسات الخيام وابو نؤاس قد احتجزته الحكومة بوظيفة الحاكمية وبقي يتنقل بها في مختلف الوية العراق ناسياً او متناسياً ما في عنقـه من واجب نحو الادب.

وكذلك قل عن باقي كبار الادباء والكتاب في العراق الذين منهم المحامون والاطباء والموظفون. اصبح الادب لديهم ملهاة لا يقبلون عليه او يذكرونه الا في اوقات محدودة. اما الشعراء وفي طليعتهم الرصافي والشبيبيان وعلي الشرقي والملاح فقد تناساهم الشعب ولم يعد يذكر اسماءهم الا في معرض الذكرى والامثال لانهم هم انفسهم اصبحوا مجرد اشخاص عاديين لا يشاركون الوطن في الامه وافراحه . اما الشيخ علي الشرقي الشاعر البدوي وصاحب القصائد الملاح فقد انزوى في رئاسة محكمة التمييز الشرعية.

والشاعر محمود الملاح الذي كانت قصائده الوطنية تدوي في ارجاء البلاد العربية وخاصة عن آلام فلسطين والبلاد العربيـة الاخرى قنع بالسكوت الان واصبح نسياً منسياً من الشعب ولم يستفق من رقاده الا مؤخراً حيث هزته نكبة لبنان بدستوره فزمجر بقصيدة قابلها الشعب الظمآن بالرضى والاستبشار.

والشاعر الجواهري صاحب جريدة الرأي العام بقي وحده في الميدان يحمل لواء الشعر الذي اهمله باقي قائليه وله في كل اسبوع قصيدة او قصيدتان تحمل في طياتهـا ما يهز النفوس في العراق والبلاد العربية الاخرى من آلام وافراح وحوادث فتتناقلها الصحف العربية ويطرب لها القراء في كل مكان لانهـا تحمل من تباشير النهضة التقدمية في البلاد العربية القسط الكبير...

*

ولا بد لنا ونحن نستعرض الحياة الادبية في العراق وحياة الادباء فيـه ١٠ كان لاخواننا المصريين واللبنانيين والسوريين من

اثر في تشجيع الحركة الادبية في العراق وخلق جو ادبي في بلادنا وذلك ببحوثهم ودراستهم الادبية التي ينشرونها في الصحف العراقية ويحاضرون فيها فينبرى ادباء العراق للجدل فيها بعضهم مع البعض الاخر ، وهم جد بارعين في الجدل واثارة النقع وخلق النشاط الادبي ، الا ان كل ذلك مع الاسف لمدة موقتة من الزمن تهبط بعدها درجة حرارة ادبائنا الى ما تحت الصفر ويعودون الى انزوائهم .

ثم لا ننسى ونحن نحاول اعطاء صورة صادقة عن الحياة الادبية في العراق معالي السيد محمود صبحي الدفتري وزير الخارجية حالياً وصالونه الادبي الذي يعقده بداره يوم الجمعة من كل اسبوع ويحضره الصفوة المختارة من مثقفي البلاد وقادة الحركة الادبية فيها والسيد الدفتري عضو بمجلس الاعيان العراقي ولديه مكتبة حافلة بانفس المؤلفات العالمية وخاصة التركية لان ثقافته تركية ويعد احد الافراد القلائل في العراق الذين يعرفون عن الادب التركي واعلامه ومثقفيه والادوار التي اجتازها حتى وصوله الى ما هو عليه الان معرفة كبيرة تخوله حق اعطاء الاحكام الصادقة في هذا الباب .

ففي يوم الجمعة من كل اسبوع يتوافد الى داره جماعة من الادباء والمحامين والشباب المثقف فيمكثون هناك ثلاث او اربع ساعات يتداولون فيها الشؤون العامة والحركات الادبية في العالمين العربي والغربي بالبحث فيبدي كل رأيه بجرأة وصراحة واثر هذه الاجتماعات الاسبوعية واضح في الروح الادبية العراقية

وهناك نواد اخرى يجتمع فيها بعض الادباء ولكن صوتها وتأثيرها قليل جداً اذا قيست بصالون الجمعة الدفتري الذي اقتصره على طبقة ارستقراطية في الادب

*

فلا يتبادر الى ذهن القاريء ان هذه الحياة التي نحياها لا بد وانها قد أماتت فينا الروح الادبية والذوق الادبي وحب المطالعة كلا فنحن لا نزال نطالع اسبوعياً اكداساً من المجلات المصرية واللبنانية والسورية وننتظرها بلهفة وشوق ونتذوق ما فيها من بحوث ادبية وقطع شعرية وفن قصصي . وان لمجلة « الاديب » مكانة خاصة مرموقة في نفوس ادباء العراق وشباب مثقفيه وذلك لبحوثها الادبية الممتازة وما تحمل من آراء صادقة في الادب والنقد والاجتماع .

*

هؤلاء هم ادباؤنا الشيوخ والادباء الذين ظهروا بعد العهد التركي وساهموا في النهضة الاستقلالية على عهد الانتداب وعهد المعاهدة فكتبوا المقالات وانشدوا القصائد ووضعوا الكتب وخلقوا جواً ادبياً كان له شأن خطير في توجيه الحياة الفكرية والادبية في ذلك العهد مما انتج احسن الآثار في نفسية الشباب العراقي .

واضيف الى ادبائنا الشيوخ شاعراً كبيراً ساهم بجزء كبير من نهضتنا الادبية وحياتنا الاستقلالية ورفع من شأن الادب العراقي وقتذاك وجعل له صوتاً وادباً في اجواء البلاد العربية وهذا الشاعر هو الشيخ مهدي البصير الذي كانت قصائده الوطنية تتناقلها الافواه وينشدها طلاب المدارس في كل مكان . وهذا الشاعر سبق للحكومة ان اوفدته الى باريس فنال شهادة الدكتوراه في الادب وكان المؤمل عند عودته ان يساعد على خلق جو ادبي في العراق ويعمل على انعاش حركة الثقافة والادب في بلاد دجلة والفرات ، ولكن مع الاسف الشديد عندما عاد هذا الشاعر الى بلاده اهتم بالقاء عدة محاضرات في الاذاعة عن الشاعر كورنيه في حين ان اغلب الجمهور العراقي المثقف لا يزال يجهل بعض النواحي عن المتنبي وابي العلاء وابي تمام والبحتري وشوقي وحافظ والكاظمي والحبوبي والزهاوي فكيف يستطيع ان يسمع عن كورنيه . ولم يعد ينشدنا قصائده او يسمعنا اشعاره وبحوثه الادبية .

هذه الحياة المادية مضافاً اليها حياة العزلة والانفراد التي يحياها الادباء وعدم وجود روابط تجمعهم او ناد يضمهم كما هو شأن اخواننا الادباء في البلاد العربية هي التي سببت خفوت صوت الادب العراقي بعد ان كان ادباً مجلجلاً في انحاء البلاد العربية على عهد حياة الزهاوي ويقظة الرصافي وهي التي اودت بادبائنا الى حياة الكسل والقنوع في حين ان الاديب الحق يجب ان يكون دائماً وابداً حساساً متيقظاً يجاهد في سبيل الحق والجمال والحرية .

نحن لا ننكر ان من اهم العوامل التي ساعدت على خمول الادب العراقي هو نظامنا الاجتماعي الذي اضاع على الادب العراقي اهم عوامل الالهام والتيقظ والاحساس وشبوب العاطفة واحاسيس النفوس فخلا ادبنا من رقة العاطفة والجمال . والعامل الآخر هو عدم تفاهم الادباء واجتماعهم — كما اسلفنا — بل تزاحمهم كلا يعيش لاحلامه فنتج من جراء هذا ان ساد جو من المادية بين الادباء جعلهم يركضون وراء الربح المادي . ولو انهم وهم في وظائفهم عملوا لاجل الادب وساهموا في الكتابة الادبية وخدمة الثقافة لحمدنا لهم موقفهم ووجدنا لهم الاعذار الكافية لتهالكهم على الوظائف لان القسم الكبير من ادباء مصر ولبنان وسوريا يساهمون باكبر

قسط في خدمة الادب العربي وهم موظفون فطه حسين وزكي مبارك واحمد امين وتوفيق الحكيم وغيرهم من الادباء في البلاد العربية الاخرى موظفون ولكنهم الى جانب وظائفهم يخدمون النهضة الادبية والثقافة اجل الخدمات ويقدمون لابناء اللغة العربية نتاجاً حافلاً بالوان الثقافة من قصص وآداب وفنون وفلسفة ، ولكن ادباءنا ما ان دخلوا سلك الوظائف حتى تركوا كل صلة بالادب ولم يعودوا يساهمون باية حركة ثقافية وابدلوا حياتهم بحياة اخرى لا صلة لها بماضيهم الادبي اللامع .

وأقرب ما نشاهده ان ديوان وزارة المعارف حافل بالدكاترة والاساتذة والمربين والفلاسفة والقانونيين والحائزين على اضخم الشهادات من مختلف كبريات جامعات العالم في اوربا واميركا والمتخصصين بالاداب ومختلف العلوم الاخرى فكان من المعقول ان يكون لهؤلاء اثر كبير في نشاط حركة الترجمة والتأليف والكتابة وترقية الآداب والعلوم في العراق . ولكن مع الاسف الشديد لم نجد منذ خمسة عشر عاماً والى الان اي نتاج انتجه احدهم .

في هذه الحياة المادية والعراك السياسي والنضال الحزبي ظهر بعض ادباء الشباب في العراق يحاولون بعث حركة الادب العراقي بواسطة الكتابة واصدار الصحف والمجلات الادبية ونشطوا للمطالعة والاقبال على الدراسة الادبية فخلقوا جواً ادبياً حافلاً بفنون من القصص التحليلي والشعر المنثور والادب العاطفي ونقد المؤلفات العربية والترجمة عن كبار كتّاب الادب الغربي وكانت جريدة « البلاد » لصاحبها الاستاذ رفائيل بطي ميداناً فسيحاً لادب الشباب ونتاجهم الفكري فتفتحت قرائحهم عن نتاج ادبي يمكن ان يكون ادباً عراقياً يمتاز بروحه الجديدة وعاطفته الشابة .

وكذلك ظهرت مجلة (الوميض) ثم (عطارد) وسبقتها (الاماني) و (الحاصد) يتسابق فيها ادباء الشباب في الكتابة الادبية والبحوث التحليلية والنقد الادبي والشعر . ولا يكاد يظهر كتاب عربي او غربي الا ويتناولونه بالبحث والدرس والتحليل والترجمة . وكان للاستاذ رفائيل بطي فضل كبير على النهضة الادبية آنذاك فكان يستكتب بجريدته (البلاد) هؤلاء الادباء ويحثهم على الدراسة والنقد ويهديهم المؤلفات الحديثة لمطالعتها ونقدها . ولم يكتف بذلك بل اخذ يصدر عدداً اسبوعياً ضخماً من جريدته على نمط عدد السياسة المصرية الادبي حافلاً بنتاج ادباء الشباب والوان تفكيرهم .

وبهذه الواسطة ظهرت مجموعة طيبة من ادباء الشباب احتلوا الميدان العراقي وراحوا ينتجون ادبا يدل على مستقبل حسن وبشارة طيبة متحدين ادباء الشيوخ الذين لم ترقهم هذه الظاهرة . ولكن ادباء الشباب لم يلتفتوا الى ذلك بل اخذوا يملأون الجو بمحصول من الثقافة والادب تقبله الجمهور وقتذاك بالغبطة والانشراح والامل بحصول اعمق واكثر اذا بقي هذا النشاط الادبي سائراً على هذا الطريق من النتاج وحسن التفكير .

وقد ظهر من الادباء الشباب الذين كتبوا في الدراسات الادبية والنقد الادبي عبد الوهاب الامين ومحمود عبد الكريم ونبغ في التحليل العاطفي لطفي بكر صدقي وفي الترجمة موسى حبيب و كامل قزانجي وكان للاستاذ رفائيل بطي فضل تقديم ادب هؤلاء الى الجمهور العراقي في جريدتيه (البلاد) اليومية و (الاخبار) الاسبوعية وتشجيعهم على الكتابة والترجمة والتأليف وكتابة البحوث والدراسات الادبية والقصة التحليلية .

ومن الادباء والكتّاب الشباب الذين ساهموا بالجهود الادبية آنذاك ذوالنون ايوب وعبد الفتاح ابراهيم وعبد الحق فاضل فكانوا في طليعة كتاب الشباب الذين تفردوا بالدراسات الشعبية والادب التقدمي وخلقوا جواً من الابحاث العميقة التي تتفرد بالاحساس بما تلاقيه الطبقة الكادحة من ظلم وجور وطغيان . فكانت مجلة المجلة وجريدة الاهالي تتفردان بنشر آراء هؤلاء الكتّاب بالاضافة الى كتاب آخرين كان لهم شأن يذكر في مثل هذه البحوث .

وهناك غير هؤلا ادباء آخرون من الشباب كتبوا كثيراً في المقالة والقصة وساعدوا على خلق جو ادبي منهم صفاء مصطفى وصفاء خلوصي وسعدي خليل وكوركيس عواد ويعقوب بلبول وشالوم درويش وسليم بطي وانور شاؤول وغيرهم من الشباب الذين كتبوا قصصاً وترجموا ابحاثاً في الادب والفن والسينما .

ويجب ان لا ننسى الصحف والمجلات الادبية التي ساعدت هذه النهضة الادبية وبشرت بها ونشرت لهؤلاء الشباب ادبهم وقصصهم وبحوثهم خاصة وان منشئيها واصحابها كانوا من ادباء الشباب او الذين يتذوقون الادب وهذه الصحف هي (الهاتف) النجفية لصاحبها جعفر الخليلي وقد انصرفت منذ انشائها الى الان تخدم الادب والنهضة الادبية خاصة وان صاحبها الخليلي من الادباء الناضجين الذين لم تستهوهم الحياة المادية فما فتئ يصدر صحيفته باسلوبها الادبي ولو ان كتابها من المغمورين الا ان اثرها في النهضة الادبية واضح ملموس . وقد الف صاحبها عدة كتب ادبية تلقفها الشباب بفرح وسرور .

ثم جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام التي كانت مسرحاً للكتاب الشيوخ والشباب وكانت صفحاتها الواسعة ميداناً لثقافة ادبية راقية وكان يشرف على رئاسة تحريرها رفائيل بطي الذي ما لبث ان انفصل عنها واصدر جريدته (البلاد) ثم (الاخبار الاسبوعية) فكانتا سجلين لادب الشباب ونضوجهم الفكري وكان هو من جهته يشجع هؤلاء الكتاب الشباب مادة ومعنى ويكتب بعض الفصول الادبية الا انها كانت قليلة جداً نظراً لاشرافه على الجريدتين. الا انه مع الاسف الشديد انغمر في التيار السياسي والنضال الحزبي فلم يعد يهتم بالحركة الادبية وتشجيع هؤلاء الادباء كالسابق . ثم عطلت جريدته عدة مرات فكان من الطبيعي ان ينصرف هؤلاء الادباء عنه خاصة بعد غلق (الاخبار الاسبوعي) واخذ هؤلاء يكتبون بجريدة (الاهالي) لصاحبيها عبد القادر اسماعيل وحسين الجميل وفي هذه الجريدة التقدمية لمس القراء ما في الادب الروسي من روعة وصدق وحياة وذلك بواسطة ما يترجمه هؤلاء الادباء من قصص وادب وشعر لفحول كتاب الروس فاقبل القراء على قراءة هذه الصحيفة اقبالا كبيراً . الا ان الحكومة ما لبثت ان عطلتها لاسباب سياسية فتبعثر شمل هؤلاء الادباء الا انهم لما كانوا صادقين في خدمة الادب فقد انشأ جماعة منهم مجلة «الوميض» لصاحبها لطفي بكر صدقي فاخذ يحررها هو وعبد الوهاب الامين هو ونهم بعض ادباء الشباب وكانت في الحق مجلة ادبية راقية خدمت الادب باعدادها الاربعة التي اصدرتها خدمة صادقة لا تزال ذكراها للان تملأ النفوس ولكن صادف صدور هذه المجلة في وقت غير ملائم فاضطر صاحبها الى ايقافها عن الصدور فاسفنا جميعا لموت هذه الشابة التي كانت تملأ الاجواء عطراً ولذة وجمالا .

ثم ظهرت بعد ذلك جريدة « الكلام » لصاحبها عبد الوهاب السامر حرر فيها بعض الادباء ولم يمض على صدورها بضعة اعداد حتى توظف صاحبها في وزارة الشؤون الاجتماعية فطلق الادب واهتم بكتابة الصادرة والواردة في الوزارة المذكورة .

ثم انشأ جماعة من شباب الادباء في الموصل مجلة « المجلة » وكان يحررها الاديب الشاعر عبد الحق فاضل وذو النون ايوب وعبد الفتاح ابراهيم وغيرهم من الادباء وبقيت هذه المجلة تصدر مدة في الموصل ثم انتقلت الى بغداد . ثم توقفت عن الصدور مؤخراً بسبب ازمة الورق

وكانت هناك صحف اخرى ساهمت بالنهضة الادبية العراقية وكتب فيها كتاب معروفون من الشيوخ والشباب وكانت لها مكانة مرموقة في نفوس الجمهور منها « الاماني » لعبد الرزاق شبيب و« النهضة » للصفواني و « الزمان والمستقبل » لابراهيم صالح شكر ومجلة « الحاصد » لانور شاؤول و (الانباء) لعبد الرزاق الناصري و (الرأي العام) للشاعر محمد مهدي الجواهري ... الا ان هذه الصحف والمجلات جميعها صحفاً ومجلات غيرها ماتت الواحدة تلو الاخرى وتوقفت عن الصدور

ولم يبرز من ادباء الشباب الذين الفوا وترجموا كتباً كانت ناجحة ومقروءة سوى حسين الجميل وذو النون ايوب وعبد الفتاح ابراهيم وعبد الوهاب الامين وعبدالحق فاضل وجعفر الخليل وموسى حبيب وكامل قزانجي .

هذه كلمة سريعة ، وجيزة عن ابنائنا الشباب الذين لمعت بوقتهم النهضة الادبية في بلادنا وذكرنا الصحف والمجلات واصحابها الذين كانوا يضرمون نار هذه النهضة . ولما ماتت هذه الصحف والمجلات الادبية الواحدة تلو الاخرى وانصرفت الباقية وانصرف اصحابها الى الظهور والشهرة عن طريق الكتابة السياسية خفتت اصوات هؤلاء الادباء وتفرقوا والتحقوا جميعهم بوظائف صغيرة في دواوين الحكومة . ولم نعد نسمع اصواتهم الا قليلا وذلك بين آونة واخرى .

بغداد — مهدي القزاز

الشمس

تعريب الاديب

ان خيالنا يعجز عن تصور حجم الارض . فكيف نستطيع اذن أن نتصور حجم بعض الكواكب الاخرى التي تدور مع الارض حول الشمس وتؤلف النظام الشمسي ؟ بل كيف نستطيع ان نحاول تخيل ابعاد الشمس نفسها ، وأن نكون فكرة عن هذه الكرة العظيمة التي تحتفظ بحرارتها وضوئها على كر العصور فتبقى منيرة وضاءة الى ما شاء الله ؟!

يبلغ قطر الارض ٧٩٢٠ ميلا . ولكن قطر الشمس اكبر مئة مرة من قطر الارض . والحقيقة الواقعة ان مئة وتسعة من الكواكب ذات قطر كقطر الارض يجب ان توضع جنباً الى جنب لتحيط بالشمس من اطرافها .

ولو قدر لشركة من المتعهدين ان تأخذ على نفسها بناء جسم له ضخامة الشمس ، لما انهت تعهدها هذا قبل ١٥٠ سنة ، ولو اشتغلت في السنة ٣٦٥ يوماً ، وكل يوم اربعاً وعشرين ساعة ، ولو كانت وسائل نقلها قابلة ان توصل الى مكان العمل كل ساعة كمية من المواد تساوي حجم الارض ! فالرياضيون يقولون بأن جرم الشمس اكبر بـ ٣٣٢٠٠٠ مرة من جرم الارض ، وان كثافتها ربع كثافة الارض .

ولكي نعبر عن جرم الشمس بالاطنان يجب ان نضع ٢٧ صفراً الى يمين الرقم ٢ فيكون لدينا ٢٠٠٠ كوادريليون !! قليل من الناس يستطيعون ان يتصوروا الالف ، ونادرون منهم يستطيعون ان يتخيلوا المليون ، وليس في الحقيقة منهم من يمكنه ان يتفهم بأية طريقة من الطرق هذا الرقم الفلكي البالغ ٢٠٠٠ كوادريليون !!

ومن المعروف ان طبيعة الشمس غازية بالنسبة الى طبيعة الارض الصلبة . وعندما نذكر ان كل ذرة من ذرات المادة تجذب ذرة اخرى ، يسهل علينا ان نتفهم بصورة اوضح هذه القوة الجاذبية الشمسية وتأثيرها على الارض وعلى الكواكب الاخرى التي تدور حولها .

كثافة نور الشمس

نور الشمس اشد الانوار المعروفة كثافة . فهو اقوى لمعاناً من نور الكلسيوم بمئة وخمسين مرة ، ومن نور القوس الكهربائي باربع مرات .

اما حرارة الشمس فعظيمة هائلة . وقد وضعت عدة امثلة حسابية ممتعة لتبيان هذه العظمة نورد احدها هنا . فلقد قرر مثلاً انه لو أمكن حصر قوة الاشعاع الشمسي وتثبيتها على عمود من الجليد قطره ميلان وربع الميل ويمتد من الارض الى الشمس — نحو ٩٣ مليون ميل — لذاب هذا العمود في ثانية واحدة ، ولتحول الماء الناتج عن هذا الذوبان الى بخار في ٨ ثوان أو أقل !!

وقدر معدل الحرارة على سطح الشمس بـ ١٢٠٠٠ درجة فاهر نهايت وقوة اشعاع المتر المربع منها بمليون وحدة من وحدات الحرارة في الدقيقة الواحدة . وهاك مثلاً حسابياً آخر تستطيع أن تتصور به هول هذا الاشعاع ، فانك لن تستطيع الحصول على هذه الكمية من الحرارة الا باحراق طبقة من الفحم الحجري الصلب سماكتها ١٦ قدماً كل ساعة ، على أن تمتد هذه الطبقة فوق سطح الشمس كله . وحسب اللورد كالفن أنه لو كانت الشمس مركبة من الفحم الحجري الصلب ، وكانت حرارتها تنتج عن اشتعال هذا الفحم ، لاحترقت في اقل من ستة آلاف من السنين !

ويجب ان نذكر ايضاً ان جزءاً يسيراً جداً من مجموع حرارة الشمس وضوئها يصل الى الارض . ويمكننا أن نفسر هذا بأن نحول اشعاع الشمس الى الجنيهات . فاذا قدرنا مصروف الشمس السنوي ١٨ بليوناً من الجنيهات ، أصاب الارض من هذا المبلغ الهائل تسعة جنيهات فقط ! ومع ذلك ، فلو انقطع عن الوصول عن الارض عشرة بالمئة من أصل هذه الحرارة لتحولت مساحات كبيرة منها الى اصقاع متجمدة جرداء ! أما الباقي من اشعاع الشمس فيذهب في الفضاء ، والظاهر أنه يتلف وينحل الا حيث يقع على كواكب أخرى من النظام الشمسي .

وقد جرت مناقشات عديدة طويلة حول قدرة الشمس على الاحتفاظ بكمية محصولها من النور والحرارة ، الذي يظهر أنه لم ينقص منه شيء على ممر العصور . أما فيما يتعلق بسطح الارض فمن الصعب أن نعزو أي تبدل في الحياة الحيوانية أو النباتية الى نقص في كمية الحرارة الصادرة عن الشمس لان الاحوال المحلية تلعب دوراً اكبر اهمية في هذا التبدل . وعلى النقيض فان هناك ما يجعلنا نعتقد بأن هذه الحرارة تتزايد ولا تتناقص ، لاننا نعلم أنه في وقت ما من تاريخ الارض ، كانت المناطق المعتدلة مغطاة بصفحة من الجليد سماكتها مئات الاقدام . ومع أن هذه الصفحة قد ذابت عن

اخرها فليس ذوبانها عائداً الى تزايد حرارة الشمس

نظرية هالمهولتز

وقد قال العالم الطبيعي الالمـاني هالمهولتز (١٨٢١—١٨٩٤) بنظرية صادفت تأييـداً عظيما . هذه النظرية تتلخص بأن حرارة الشمس هي نتيجة لتقاصهـا التدريجي ، وان تقلص الشمس ٢٥٠ قدماً سنوياً ، او ما يزيد قليلا عن الميل الواحد في ٢١ سنة، يكفي لتعليل محصولها من الحرارة . ويستدل من هذا الافتراض ان حرارة الارض ستتدنى خمس درجات في مدة مئة الف من الاعوام .وتشير احصاءات اخرى الى أن حرارة الشمس ستبقى لمدة عشرة ملايين سنة كما هي عليه الان ، بالنظر الى جرمها الهائل ، حتى ولو سلمنـا بتقلص الشمس على المعدل المذكور . وبما انه من المستحيل اقامة البرهان على هذه النظرية ، بقياس محيط الشمس لانـه يجب ان تمر عشرة الاف سنة قبل ان يكون اي نقص قابلاً للقياس ، فـان علينا ان نترك هذا الامر كما هو — تأمل ممتع !

سطح الشمس

الشمس كرة ذات جوانب اقل بريقـاً من القسم المركزي . وتبلغ خسارة الجوانب ٦٠٪ من النور الذي يشع في الوسط . وهذا يظهر أن سطح الشمس غازي ، لانه لو كانت الشمس صلبة أو سائلة لوجب ان يكون لمعانها عند الجوانب مساوياً لمعانهـا في الوسط . وهذا السواد عند الاطراف سببه امتصاص الغلاف الغازي المحيط بالشمس ، والشبيـه بالغلاف الهوائي المحيط بالارض ، لضوء الشمس .

ويظهر سطح الشمس كانه ملطخ بكلف ملونة ، او كانـه مغطى بحبات صغيرة مستطيلة ، وعليه ترى خطوط وعروق غـير منتظمة ، الا انها أشد بريقاً من بقية السطح المحيطة بها . هذه الخطوط تدعى « المشاعل الصغيرة » وتكثر بعيداً عن القطبين ، وترى بوضوح تام قريباً من الطرف ، نظراً لسواد هذه الاطراف — كما شرحنـا آنفاً — بالنسبة الى الوسط . و « المشاعل الصغيرة » ليست في الحقيقة سوى قمم لغيوم عظيمة من البخار ناشئة من اعماق الشمس وقـد يبلغ طولها ٤٠ ألفاً من الاميال وعرضها خمسة آلاف ميل او تزيد .

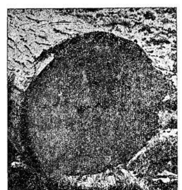
كثيراً ما ترى بقع على سطح الشمس . هـذه هي الكلف الشمسية . وهي تختلف حجما ، فمنها الدقيقة ومنها الكبيرة الضخمة السوداء الشبيهة ببقع الحبر على صفحة نظيفة بيضاء . وقد كانت الشمس تعتبر رمزاً للطهارة التامة ، وعندما اكتشف كاليليو —منذ ٣٠٠ سنة ، هذه الكلف عليها بواسطة المرصد الذي كان قد اخترعه حديثاً ، قلق كثيراً لما رأى . وتفسير هذه الكلف هو كما يلي : ان سطح الشمس الذي نرى هو طبقة غازية حارة جداً تحيط بالجرم المركزي والكلف التي نراها هي ثغرات في هذا الغلاف الغازي .

والكلف على سطح الشمس كالمصاريع تسمح للغازات الحارة المضغوطة كثيراً ان تنفذ من داخل الشمس الى سطحها المضطرب . وهي دراير — تيارات بحرية — في الجو الشمسي . ومن المعلوم ان الغاز المضغوط اذا اطلق فجأة وتمدد فانـه يبرد حسب قانون طبيعي . وهذا ما يحدث عندما تنشأ الكلف على سطح الشمس . أما ما يحدث تحت سطحها فليس لنا الا ان نتخيله . فعندما تحدث العواصف الشمسية التي تسبب نشوء الكلف، يتشقق سطح الشمس ونستطيع عندئذ أن نرى من خلال « شقوق الغيوم » ان الاعمـاق سوداء . ومن هذا يمكننا الافـتراض ان جوف الشمس بارد ، ولكن علينـا ان نذكر أنه بالرغم من ظهور الكلف الشمسية سوداء ، فهي انما تظهر كـذلك بالنسبة الى ضياء سطح الشمس الباهر .

ومع ان الكلف الشمسية تتخذ غالباً اشكالا مختلفة متقلبة، فهي على العموم مستديرة الشكل . ومهما يكن ، فان لها دائمـاً تقريباً هذا الشكل المستدير عند بدء ظهورها . ويبلغ محيط بعضها مئة الف من الاميال ومعظمها يستطيع ان يبتلع الارض بسهولة . وقد رؤيت واحدة من كبريات هذه الكلف عام ١٩٠٥ ووجـد انه يمكن ادخال اربعين أرضاً موضوعة جنبا الى جنب فيها دون ان تمس أطرافها . ومثل هذه الكلف تسهل رؤيتها بالعين المجردة عندما تتحجب الشمس قليلا بالغيوم او بالضباب ، او بواسطـة الزجاج المدخن أو القسم المظلم من فيلم التصوير .

ادوار الكلف الشمسية

ومع ان الشمس لا تكاد تخلو من هذه الكلف ، فانهـا تكثر في بعض السنين وتقل في الاخرى . ويكمل دور تقلبها من حيث كثرتها وقلتها في احدى عشرة سنة . وقد اكتشف هـذا الدور عام ١٨٥٢ العالم الكيمائي الالماني (شواب) الذي تمكن من



قسم من جذع شجرة بلوط ، وترى فيها الحلقات السنوية ذات المركز الواحد ، وكل منها تمثل سنة واحدة من عمر الشجرة

رصد هذه الكلف بواسطة مرصد يدوي ، فكافأته الجمعية الملكية الفلكية بداليتها الذهبية « لحميته التي لا تقهر وقوته التي لا تنفد ، والتين تجلتا في نجاح دراساته نجاحاً موفقاً » . وكانت الاعوام التي بلغت فيها الكلف الشمسية أوج زيادتها ١٩١٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٩ ، ويلاحظ القارئ ان الفرق بين كل منها احدى عشرة سنة .

ومع ظهور هذه الكلف صغيرة جداً ، ومع انها تقع بعيداً عن الارض، فان الارض تتأثر بها في اكثر من طريقة واحدة . فلقد اقيم البرهان على ان الدرادير التي تشكل الكلف الشمسية كهربائية . واكتشف عام ١٦٢٢ (ج. هال) مدير مرصد (لك) ان كل بقعتين مشتركتين لهما قطبيتان مغناطيسيتان متعاكستان . وهما على الاخص تؤثران بالادوات المغناطيسية والموازين الكهربائية ويوافق ازدياد نشاطها المغناطيسي قمة الدور ، كما يخف كلما قل عدد الكلف الظاهرة على سطح الشمس . وفي اكثر من مرة ، انقطعت المواصلات البرقية بسبب العواصف المغناطيسية الناشئة في الشمس .

عندما تقطع شجرة ما ، يظهر عدد من الحلقات تمتد من مركز واحد من الوسط . وبما ان كلًا من هذه الحلقات تمثل سنة واحدة من عمر الشجرة فانه بمقدورنا معرفة عمرها بعد هذه الحلقات . وتكاد تكون حلقات الشجرة مختلفة في السماكة ، ولا غرابة في ذلك لان نمو الشجرة يكون خفيفاً في فصول الصيف الحارة بالنسبة الى نموها في الفصول الرطبة . وهكذا تسجل الشجرة تسجيلًا طبيعياً حالات الطقس التي تعرضت لها في حياتها . وقد وُجد بعد درس هذه الحلقات ان سماكتها تتباين في اثناء مدة طولها ١١ سنة ، وهي نفس المدة التي يستغرقها دور الكلف الشمسية !!.

ومعنى هذا انه عندما تبلغ الكلف الشمسية اوج زيادتها تكون فصول الصيف رطبة ندية، فينمو الخشب في الشجرة بكثرة وتسمك حلقاتها . وقد زاد العالم الفلكي الاميركي (أ. وكلاس) على هذا ، فكان في مقدوره ان يعين حالة الطقس اثناء الفتح النورمندي . فقد درس اقساماً من الاشجار التي كان الهنود يستعملونها في بناء بيوتهم القديمة ، وتبين له ان حلقات احدى هذه الاشجار التي قطعت عام ١٢٦٠ بعد المسيح كانت تظهر اختلافات الطقس من تلك السنة التي قطعت فيها الى ما قبلها ب ١٨٧ سنة اي الى سنة ١٠٧٣ بعد المسيح . وهو في الحقيقة سجل عجيب لم يعرف وجوده ولا تفسيره الا حديثاً .

دور اقتران الكواكب

تدور الشمس على محورها في ٢٥ يوماً وثلث اليوم على التقريب ولكن مدة هذا الدوران (المعروف بدور اقتران الكواكب) تظهر لنا ٢٧ يوماً وثلث اليوم تقريباً بسبب دوران الارض حول الشمس في اثناء دوران الشمس على محورها . ومدة الدوران هذه تنطبق فقط على المناطق القريبة من خط الاستواء . والقطبين تدور ببطء اكثر . فبعضها يحتاج الى ٢٨ يوم اخر لاكمال دورتة ، والارض القريبة من القطبين تحتاج الى وقت اطول من هذا بكثير . وبسبب دوران الشمس نرى ان بقعة من البقع الظاهرة في طرف ما من اطراف الشمس تنتقل تدريجياً قاطعة وجه الشمس في مدة ١٤ يوماً ثم تختفي في الطرف الاخر غير المنظور لتعود بعد ١٤ يوماً اخرى الى الظهور من الطرف الاخر، مع العلم انه



غيمة من الهيدروجين تشكل جسراً بين بقعتين شمسيتين

ليس من المؤكد ظهور البقعة بعد مرور هذه المدة ، اذ قد يحجبها سطح الشمس اثناء انتقالها على الوجه غير المنظور.

يمر القمر من وقت الى آخر اثناء دورانه في فلكه بين الارض والشمس فيحجب نورها عن الارض ويسبب حدوث الكسوف. ومع ان القمر يدور حول الارض كلها في شهر واحد ، فالاجسام الثلاثة : الشمس والارض والقمر، لا تكون دائماً على خط مستقيم. بل قد يكون القمر عالياً مرة ومنخفضاً مرة اخرى. وعندئذ لا مجال لحدوث الكسوف. واذا لم يحجب القمر الشمس كلها عن الارض يقع الكسوف الجزئي ، ويختلف طوله بالنسبة الى موضع القمر والارض والى موضع المتفرج على الارض.

ولو كان القمر عند وقوع الكسوف بعيداً عن الارض لدرجة ان محيطه يظهر لنا اصغر من محيط الشمس ، لوقع الكسوف الحلقي المستدير. وقد حدث مثل هذا الكسوف في اول تشرين الثاني عام ١٩٢٩. ولكن هذا الكسوف كان جزئياً بالنسبة الى سكان بريطانيا العظمى ، اما اهالي سيام اليوم ، فقد ظهرت لهم حلقة من النور كانت تحيط بالقمر وحجبت بقية الشمس عن انظارهم ، وسمي هذا النوع من الكسوف بالحلقي.

الكسوف الكلي والجزئي

ليس للكسوف الجزئي ولا الحلقي ما للكسوف الكلي من الاهمية. فظواهر الكسوف الكلي لا ترى في الكسوفين الجزئي او الحلقي لان نور الشمس لا يحجب كله عن الارض اثناء وقوعهما.

يقع ظل القمر على الارض اثناء الكسوف الكلي ويسير فوق البر والبحر. ويكون الكسوف كلياً بالنسبة الى الاماكن التي يغطيها هذا الظل فقط. وعلى جانبيه تقع مناطق واسعة تمتد الى مسافة الفين من الاميال ويكون الكسوف كلياً بالنسبة الى الاماكن التي يغطيها هذا الظل فقط. وعلى جانبيه تقع مناطق واسعة تمتد الى مسافة الفين من الاميال ويكون الكسوف بالنسبة الى الاماكن الواقعة ضمن هذه المناطق كسوفاً جزئياً. والواقع ان عرض هذا الظل لا يتعدى ١٧٠ ميلاً ، وان مدة الكسوف الكلي لا يمكن ان تتجاوز ٨ دقائق في اكثر الظروف ملاءمة.

نرى من هذه العوامل ان الكسوف الشمسي هو الى حد ما ظاهرة محلية. فالكسوف الذي قد يكون كلياً في اسبانيا قد يكون جزئياً في فرنسا ، والى درجة اقل في انكلترا. والعامل الوحيد الذي يقرر نوع الكسوف هو ظل القمر على الارض.

واننا لنستطيع ان نؤرخ بطريقة لا تقبل الشك كل كسوف حصل في الماضي. وفي الواقع أن اكثر من كسوف واحد في التاريخ قد عين وقت حصوله بالضبط. فنحن نعرف مثلاً ان كسوفاً حصل في الاور في الساعة الحادية عشرة من صباح ٨ آذار عام ٢٢٨٣ ق.م. وان الكسوف في (إثاكا) المذكور في اوذيسة هوميروس قد وقع في الساعة ١١ والدقيقة ٤١ من صباح ١٠ نيسان عام ١١٧٨ ق.م.

بعد الشمس عن الارض

توصل العلماء بعد جهد دام عشرات السنين الى ان الشمس تبعد عن الارض ٩٣ مليون ميل. وقد يبدو لك هذا الرقم ضئيلاً لاول وهلة ، ولكنك لو عرفت انه لو كان باستطاعتنا ان نمد خطاً حديدياً الى القمر وسيرنا عليه قطاراً ليلاً ونهاراً دون ان يتوقف من اجل الوقود او الماء لبلغ هذا القطار القمر بعد ستة اشهر ، وان نفس القطار يبلغ الشمس بعد ٢٠٠ سنة ! لو عرفت هذا لتجلى لك البعد الهائل بين الارض والشمس. وهاك صورة أخرى تمثل لك هذا البعد الهائل : انك لتشعر بالالم عندما تحرق لفافة تبغ اصبعك ، وانك لتحس هذا الالم حالما تمس اللفافة هذا العضو من جسمك. ولكن الحقيقة هي أن بعض الوقت يمضي قبل ان يسجل احساس الالم في دماغك. وسرعة هذا التسجيل تقدر بـ ١٠٠ قدم في الثانية او ١٦٣٧ ميلاً في اليوم فلو استطعنا ان نتخيل ولداً صغيراً له ذراع طويلة يقدر ان يبسطها فتلمس اصابعه الشمس ، لهرم ومات قبل ان يسجل الم الحرق في دماغه ، فهو لن يشعر بالالم من جراء هذا الحرق الهائل مطلقاً : هذا المثل يمكن ان يصور لك بعض التصوير الابعاد الفلكية الشاسعة.

لنترك الان الشمس الملتهبة ، مصدر النور والحرارة على الارض والتي عليها تتوقف جميع انواع الحياة فيها ، لندرس في عدد قادم القمر ، اقرب الاجرام السماوية الى الارض !

عن الانكليزية تعريب : « الاديب »

صرخة الاديب

★

« الى مسامع دولة الرئيس الاديب
رياض بك الصلح »

★

محمد يوسف حمود

تهتز ، ان خطب ، المنابر وتجف ، ان كتب ، المحابر
هيهات ، ان تعي اللغات رؤاه ، او تسع الخواطر
واذا خطا في الارض ، يشعر ان فوق الارض سائر
فخطاه ، وثبة يعربي ، سار ، يجهل ما المقادر
رجل ، لديه من الارادة ، ما تذل به المخاطر
ولديه ، من وعي الضمير ، منارة ، لا كالمنائر
لا يعرف اليأس الممض ، فتى ، على الخالين صابر
والدهر ، لا يخشى سوى الفكر المدرع بالبواتر !

*

الله ! .. امس لقيته ، حيران ، في الاسواق ، سادر
يمشي ، خطاه وئيدة ، والوعي في عينيه غائر
في وجهه ، لون الفتوة جف ، محروق الازاهر
لكأنه السكير ، يحيي الليل في الحانات ، ساهر
يمشي ، تشد به ميامنه ، فتجذبه المياسر
خارت عزيمته ، ولم اك مرة ، القاه خائر
فوقفت ، بي من امره شك ، احدق فيه ، حائر
ناديته ، فاجاب ، يشكو دهره ، والدهر غادر !

*

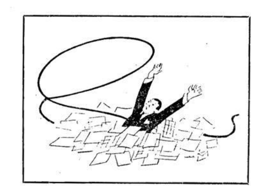
ياصاحبي ، عهدي بوجهك ضاحكاً ، حلو البشائر
اين الشباب ، الاخضر المختال بالحلل ، النواضر
بل ، اين اشعار نفحت بها البوادي والحواضر
اضحك اخي ، واثبت ، فتيار الحياة اليوم جائر
ما انت وحدك متعباً ، فالارض ملأى بالمجازر
عد ، وابعث الاشعار ، ايماناً تأجج كالمجامر
واكتب ، لعلّ ذوي الضمائر ، تستحثهم الضمائر
واخطب ، لعل السامعين المبصرين ، لهم بصائر !

*

دعني بحجت من النداء ، فلم تجب الا المغاور
ما الشعر ، ما الادب الرفيع ، وما الخطيب على المنابر
تعب هي الدنيا ، واتعب ما عليها ، رأس شاعر
انا لست ، ممن يحرقون الشعر ، في جمر المباخر
قدمي ، ابيّ العرق ، من آبائي الصيد الجبابر
والجوع ، علمني التمرد يا اخي ، والجوع كافر !

*

ومضى الاديب ، تهزه الآلام ، كالبركان ، ثائر
ينهال ، طعناً بالزمان ، كأن في فمه خناجر !



الادب الامريكي الحديث

بقلم خلدون ساطع الحصري

لاحظت في احاديث الذين يقرأون بلغة ثانية بجانب العربية جهلهم التام للادب الاميركي الحديث وانهم لا يعرفون حتى اسماء كتاب اميركا الذين يؤثرون في ادب اليوم العالمي ولهم مدارس خاصة لها فروع في القارة الاوربية نفسها. لا اعرف سبباً لجهلنا للادب الاميركي الحديث. ولكنه ما من شك عندي ان السبب ليس ضآلة قيمة هذا الادب. ان الانكليز والافرنسيين والروس يعترفون بقيمة هذا الادب ويتأثرون به ويقلدونه. في السنة الماضية فقط الاستاذ ايفور ايفانس، استاذ الادب الانكليزي في جامعة لندن محاضرة في بيروت. قال فيها ان ادباء امريكا الذين كانوا بادىء الامر يكتبون باللغة الانكليزية تركوها الى لغة خاصة بهم وان الادب الانكليزي الحديث في كثير من نواحيه اضعف بكثير من الادب الاميريكي الحديث ومنذ مدة قرأت للقصاص الانكليزي الكبير ه. ئي. بيتس H. E. BATES كتاباً جديداً يعترف فيه بان الادب الاميريكي الحديث يفوق بمراحل الادب الانكليزي الحديث ويرجو فيه من كتاب انكلترا ان يتلقوا دروسهم من كتاب اميريكا. وقبل اسبوع فقط قرأت في مجلة PENGUIN NEW WRITING الادبية الانكليزية مقالا يطلب فيه الكاتب من كتاب انكلترا ان يرفعوا ادبهم الى مستوى الادب الاميريكي لكي يترجم هذا الادب الى اللغة الروسية — كما ترجم الادب الاميريكي — فان ذلك يساعد على تفاهم روسيا مع انكلترا ويساعد على افهام الشعب الروسي عن حياة انكلترا الثقافية

ان جهلنا للادب الاميريكي الحديث مؤسف جداً، من ناحية ثانية. فهو يستطيع ان يعلمنا اشياء كثيرة وفيه كل ما ينقص ادبنا ونحن لو قارنا اليوم موقفنا الان بموقف الامريكان من نصف قرن او اكثر لوجدنا شبهاً كبيراً جداً.

جاء الامريكان متأخرين الى سوق الادب العالمي. لكنهم لم يشعروا باليأس والقنوط، بل انصرفوا حالا الى استعراض البضائع المعروضة فيه واخذ كل ما استحسنوه. وهم لم يكتفوا بذلك، بل بالسرعة التي اشتهروا بها، اخذوا يهضمون ما اخذوه ويضيفون اليه من عندهم ما كان ينقصه. هم لم يقولوا — كما يقول بعض الشبان العرب عن بلادهم —: امريكا بلاد لا حضارة لها. ماذا نستطيع ان نفعل؟ ان امريكا التي لم تتأثر بعد بالتقليد اليوناني كيف تستطيع ان تلحق بسيارة المدنية المسرعة؟ لنبدأ من البداية، من اليونان والالياذة. نحن لا نستطيع ان نكتب عن امريكا. ماذا في امريكا؟ امريكا البدائية المتوحشة! يقول بعضنا: من الطبيعي ان لا نقدر على كتابة شيء جيد من يستطيع ان يكتب شيئاً جيداً عن بغداد او عن القاهرة او عن القدس؟

هم لم يقولوا ذلك، بل آمنوا كما قال سنكلير لويس بان «امريكا غريبة بقدر روسيا، معقدة بقدر الصين» وان فيها ملايين الاشياء التي تستحق الكتابة، وان الكتب العظيمة ليست فقط تلك التي تبحث عن باريس ولندن وآثينا على زمن سقراط، بل ان الكتب التي تبحث عن اوهايو وتكساس وكاليفورنيا قد تكون عظيمة، بل واعظم اذا كان كتابها مخلصين لانفسهم وفنهم.

وهم مثلنا ايضاً تسلموا لغة معقدة — ليست معقدة بقدر لغتنا — زاد في تعقدها روح المحافظة عند الانكليز، ولكنهم لم يقنطوا ولم يستسلموا ولم يقولوا ان اللغة شيء مقدس يجب ان لا يتبدل. اخذوا يبسطون لغتهم وقواعدها ويحذفون منها كلمات ماتت ويضيفون لها كلمات جديدة، فاذا لهم بمدة قصيرة لغة بسيطة حية اخذ ادباء الانكليز انفسهم يدعون الى استعمالها. ولم يكن عملهم سهلًا بقدر ما نتصور، فكثيراً ما جابهوا الصعوبات في وسط بيئتهم ايضاً. قال سنكلير لويس سنة ١٩٣٠ بعد ان نال جائزة نوبل في خطاب: «ليس الادب لاستاذ ادب في جامعة اميركية شيئاً يجلس انسان بسيط يعيش اليوم الى منضدة ليكتبه. ان اساتذتنا الامريكان يريدون ادبهم بارداً وميتاً جداً.» ولكن الامريكان لم يهتموا لاساتذة الادب في بلدانهم وفي غير بلادهم بل خلقوا لهم بالرغم من كل الصعوبات ادباً حياً مكتوباً بلغة حية.

وثمة شيء آخر نستطيع ان نتعلمه من الامريكان، وهو ان الاديب ليس بعيداً عن المجتمع يعيش في برج عاجي بل هو منها ويكتب لها. وكل هؤلاء الادباء الذين ساذكرهم بعد قليل حاربوا وتقاتلوا ودخلوا السجون وباعوا تذاكر السينما وصبغوا حيطان البيوت. بكلمة مختصرة: عاشوا في الحياة. وليس بين الادباء الاربعة الذين ساذكرهم الا واحد له B.A. اما نحن فنعتقد ان الاديب انسان غير بشري يعيش في برج عاجي بين جبال من الكتب



شيروود اندرسون

يحفظ ألفية ابن مالك والمعلقات والا فهو ليس اديباً . ولا بد للاديب الكبير عندنا من ان يعلق في غرفته شهادة دكتوراه في الاداب. هذا هو احد الفروق بيننا وبينهم. ادبنا يكتبه شخص لا يرى ما يحدث خارج غرفته ، وشخص آخر لم يمسك في حياته كلها بندقية بيده. وادبهم يكتبه فولكنر الطيار الذي اشترك في الحرب العالمية الماضية واشتغل بتوزيع البريد وصبغ سقوف البيوت وبيع الكتب ، وهمينكوي الذي جرح في ايطاليا اثناء الحرب العالمية الماضية وكان في مدريد اثناء حصارها في الحرب الاهلية واشتغل بالملاكمة ومصارعة الثيران . هؤلاء رجال يعرفون الحياة.

وثمة فرق آخر بين ادبائنا وادبائهم : ادباؤهم ينالون جائزة نوبل ثلاث مرات في المدة الواقعة بين سنة ١٩٣٠ و١٩٣٩ ، ونحن لا نزال حيث كنا منذ قرون! وهم طبعاً لا يخصصون كتبهم للبحث عن احلام شهرزاد بل يكتبون عن امريكا اليوم ومشكلة البطالة فيها ومشكلة الرأسمالية والزراعة التي تنافسها الصناعة.

سأتكلم الان عن اربعة من ادباء امريكا يمثلون بنظري ادب امريكا الحديث . ومجموع خصائص هؤلاء الادباء تمثل طبعاً خصائص الادب الامريكي الحديث بصورة عامة.

ولا ادعي ان بحثي عن هؤلاء الادباء سيكون وافياً ، فذلك يتطلب مقالات طويلة ، بل سيكون سريعاً ، مختصراً ، سينمائياً ، اقدم فيه هؤلاء الادباء بالسرعة التي تطبع فيها الكاميرا صورها على الستار الابيض.

شيروود آندرسون SHERWOOD ANDERSON

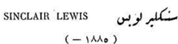
(١٨٧٦—١٩٤١)

هو من آباء الادب الامريكي الحديث واوائل الذين ادركوا ان امريكا ليست بلداً بل قارة باسرها وان هذه القارة ليست مستقلة اقتصاديا فقط بل انها تستطيع ، ويجب ، ان تستقل ثقافياً ايضاً . ادار ظهره تماماً للقارة القديمة ولم يتأثر قط بكاتب من كتابها او مدرسة ادبية فيها . وقد كان تأثيره على الذين تبعوه — مثل هينكوي وغيره — كبيراً. اتخذ اندرسون لنفسه في كتبه فلسفة تثبت اهمية الغرائز البدائية التي كان يعتقدانها تكيف سلوك الانسان وحركاته ، وقال ان حياة امريكا الميكانيكية المنظمة لا تعترف بهذا وتريد ان تجعل الانسان عجلة صغيرة بلا ارادة في الآلة المعقدة . واشخاص كتبه دائماً أناس تائهون ، حيارى، يبحثون عن باب ، لا يدرون ما يفعلون وكيف يتخلصون من نظم المجتمع الآلية المعقدة . وهو قليل الاهتمام بالمجتمع نفسه : اهتمامه يصل الى الحد الذي يجد فيه المجتمع من حرية الانسان . واندرسون يلبس الغريزة الجنسية لباساً صوفياً ويقدمها كحل للمشاكل التي يتخبط فيها اشخاص كتبه . وهنا يلتقي آندرسون و د. ه. لورانس عبر الاتلانتيك . واسلوب اندرسون بسيط جداً، عامي ، لا تصنع فيه ابداً ، وصل الى ذروته في كتابه «الضحكة السوداء» (Dark Laghter) . وانا شخصياً اعتقد ان قصصه افضل من رواياته ، واعد قصته « الموت في الغابات » التي نالت جائزة « او . هنري » من احسن ما كتب . وهذه القصة تدور حول امرأة عجوز فقيرة قضت نصف شبابها في خدمة سيدها واعداد الطعام له، ثم تزوجت فكان عملها ايضاً اطعام زوجها سارق الخيل وابنها والابقار في الحظيرة والخنازير والخيل والدجاج . وهي عندما تعجز تنزل يومياً من قريتها الى البلدة وتشتري هناك طعاماً لزوجها وولدها وبقراتها ، وتحمله على ظهرها في داخل كيس . وهي تموت يوماً في طريقها الى الدار في غابة مكسوة بالثلج ، فتهجم الكلاب على جثتها وتفتح الكيس وتلتهم ما فيه من طعام . يقول اندرسون : «كان مقدراً للمرأة التي ماتت ان تطعم الحياة الحيوانية . على كل حال ، انها لم تفعل شيئاً اخر . كانت تطعم الحياة الحيوانية قبل ان تولد ، وكطفلة ، وكشابة تشتغل في مزرعة الالماني ، وبعد ان تزوجت ، وعندما كبرت ، وعندما ماتت.



سنكلر لويس

اطعمت الحياة الحيوانية في الابقار ، في الدجاج ، في الخنازير ، في الخيل، في الكلاب في البشر.. في الليلة التي ماتت فيها كانت تسرع للبيت حاملة على جسدها طعاماً للحياة الحيوانية.. ماتت في الفتحة ، في الغابة ، وحتى بعد موتها استمرت تطعم الحياة الحيوانية».



سنكلير لويس SINCLAIR LEWIS

(١٨٨٥ —)

نال جائزة نوبل سنة ١٩٣٠ . كثير من الناس يرون امريكا من خلال كتبه . وهو متهكم ، يسخر بعنف من الدمقراطية الاميركية والمنظمات الاميركية . وكانوا يسمونه « الاحمر » لحمرة شعره ومبادئه . ويقول النقدة انه لو لم يكن اميركياً بحتاً لما صبر الامريكان على سخريته وانتقاداته . وهو في كتابته واقعي جداً ، لكن واقعيته لا تشبه الواقعية الافرنسية — وان كان من المؤكد انه قد تعلم دروساً من فلوبين وموباسان وزولا — فهي واقعية صحافية ليس لها بطء وضيق الواقعية الافرنسية . واسلوبه صحافي يقول فيه ما يريد ان يقوله بسرعة وكلمات قليلة ولاسلوبه احياناً ما للاسلوب الصحافي من الاسفاف . ويقول عنه بعض النقدة : انه صحافي يكتب ادباً ، والغريب انه يكتب ادباً ينال جائزة نوبل !

وهو دقيق جداً يدرس مواضيعه درساً طويلاً ويلم بها الماماً عميقاً . فهو ، مثلا ، قبل ان يكتب روايته « آرو سميث » التي تدور حول العلماء والاطباء والاكتشافات العلمية قضى مدة طويلة في المختبرات مع بول دي كرويف الذي ترجم كتابه Microbe Huvters الى العربية بعنوان « قصة الميكروب » وقد درس مع هذا العالم الامريكي الكبير مشاكل امريكا الصحية والجرائم وطرق محاربتها . ومما يساعده على التعمق ثقافتها العالية فقد تخرج سنة ١٩٠٧ من جامعة Yale

وفي سنة ١٩٣٦ نشر كتابه « غير ممكن ان يحدث هنا » وفي هذا الكتاب يشرح لويس مهاجم الدمقراطية موقفه من الديكتاتورية وهذه الجملة من هذا الكتاب تشرح بوضوح واختصار موقفه :

« عالجوا شرور الدمقراطية بشرور الديكتاتورية ! شيء مضحك ! لقد سمعت انهم يعالجون المريض بالسفلس باعطائه الملاريا ، ولكن لم اسمع عن مريض بالملاريا يعالجونه باعطائه السفلس . »

الملاريا والسفلس ، السيء والاسوأ . يذكرني هذا بموقف المثقفين الانكليز من هذه الحرب . عند بداءة الحرب

وليم فولكنر

نشرت « التيمس » المحافظة مقالا تطلب فيه من شعراء الانكليز ان يكتبوا قصائد يحثون فيها الشعب على الحرب ، فاجابها دي لويس ، من اعظم شعر الانكليز المعاصرين ، بقصيدة اسمها « اين شعراء الحرب ؟ »



جون ستاينبك

واعظم كتب سنكلير لويس في نظري هو آرو سميث الذي نال سنة ١٩٢٦ جائزة بوليتزر . وهذا الكتاب يبحث عن حياة طبيب مثالي والصعوبات التي يجدها هذا الطبيب في المختبر وهو يبحث عن الحقيقة العلمية والصعوبات التي يجدها في خارج المختبر في نضاله مع الشركات التجارية الرأسمالية التي تود ان تستثمر تجاريا العلم والطب ومكتشفات العلم ، ثم جهد الموظفين في الحكومة وارتشائهم .

ومن اروع ما في الكتاب صلاة الدكتور آروسميث التي يعبر بها تعبيراً دقيقاً عن الروح العلمية الصحيحة . يقول الدكتور آروسميث : « اعطني ايها الرب عيوناً مفتوحة ودعني لا اكون متسرعاً . ايها الرب اعطني الغضب وكراهية التظاهر وكل عمل تظاهري وكل عمل يترك دون ان ينهى . اعطني العناد الذي لا يجعلني انام او اقبل المدح حتى تكون النتائج التي اختبرتها مساوية للنتائج التي قدرتها او اجعلني اكتشف واهاجم غلطتي . ايها الرب اعطني القوة كي لا اصدق الرب ! »

وليم فولكنر WILLIAM FAULKNER

(١٨٩٧ —)

في سنة ١٨٦١ نشبت الحرب الاهلية بين الولايات الشمالية التي ظلت في الاتحاد والولايات الجنوبية التي ارادت الخروج من الاتحاد . كان بين الولايات الجنوبية الولايات المهمة التالية : فرجينيا ، كارولانيا ، جورجيا ، آلاباما ، تنسيس ، لويزيانا ، آركنساس ، مسيسيبي ، فلوريدا ، تكساس . واستمرت الحرب ، التي كانت حرباً دموية ، ٤ سنوات ، وانتهت بانتصار الشمال على الجنوب . وعقب انخذال الجنوب انحطاط اقتصادي ، اجتماعي ، ثقافي ، فيه . لا بد من معرفة تامة لهذه الحرب واسبابها ونتائجها لمن يريد ان يتذوق الادب الامريكي . ذلك ينتج من سببين : اولا — الكثير

من الادب الامريكي يدور حول هذه الحرب او حول نتائجها .

ثانياً – لان هذه الحرب خلقت مدرسة ادبية جنوبية تعبر عن الكره الذي يشعر به اهل الجنوب نحو اهل الشمال او تصور الانحطاط الذي حدث في الجنوب بنتيجة الحرب .

وهذه المدرسة لها اتصال وثيق بالمدرسة الاقليمية الجنوبية التي يقول دافيدسون ان عليها «التكلم باسم الجنوب ككيان تاريخي حي منفصل عن امريكا وان كان محدوداً بها» .

وليم فولكنر ، بلا منازع ، اكبر كتاب الجنوب . ويقدم في كتبه صورة صادقة – فيها بعض المبالغة – عن الجنوب واهل الجنوب وعاداتهم .. وهو بارع جداً في رسم صور دقيقة لانحطاط اهل الجنوب بعد تغلب الشمال عليهم في الحرب الاهلية .

يسمي بعضهم فولكنر « دستويوفسكي امريكا » . والتسمية بنظري صحيحة ؛ فان اشخاص كتبه مثل اشخاص كتب الكاتب الروسي الكبير ناس غرباء الاطوار ، عباقرة او مجانين . مجانين تسأل نفسك بعد ان تقرأ بعض ما يتفوهون به : هل المجنون عبقري ضل الطريق ؟ عبقري لا نفهمه ؟ وجو قصصه مثل جو قصص الكاتب الروسي الكبير ، جو خافق ، ثقيل ، مخيف ، تتصاعد منه بدلا من رائحة الفودكا رائحة ويسكي الجنوب القوي مخلوطاً برائحة العرق السائل من اجسام العبيد المشتغلين في مزارع القطن التي تكثر في الجنوب . وهو يشبه دوستويوفسكي في شيء آخر لم يشر له احد النقدة حسب ما اعلم : كتب فولكنر مثل كتب دوستويوفسكي لا تعرف قالباً وتتجاهل كل « التكنيكات » .

اما اسلوبه فمعقد ، متداخل في بعضه ، يقول بعض النقاد عنه : انه اسلوب شرقي وذلك لكثرة الاستعارات والتشابيه التي فيه .. ولعلهم على حق .

وآخر ما قرأت لفولكنر هو Pylon : رواية يتحدث فيها فولكنر الذي كان طياراً عن حياة جماعة من الطيارين . وبطل هذه الرواية صحافي شاب غريب الاطوار ، ضجر من حياته المملة التي لا تتغير ، يسمر بحياة الطيارين الذين يتعرف لهم ويجد فيها كل ما كان ينقصه . وهو يقول لمدير جريدته عن هؤلاء الطيارين : « انهم ليسوا بشراً مثلنا ... اكسر واحداً منهم . انك لن تجد دماً . انك ستجد زيت الآلات في عروقهم . » والرواية تنتهي بان يفارق الصحافي الطيارين ويخرجوا من حياته بالسرعة التي دخلوا فيها ، ولكنك تشعر أن هذا الصحافي قد تغير وان حياته لن تكون بعد الآن ما كانت عليه حتى الآن وانه قد يكون يوماً كاتباً كبيراً . بين الاوراق التي كتبها ومزقها ذلك الصحافي ورقة هي بداءة مقال يتحدث فيه الصحافي عن موت طيار . يكتب الصحافي :

« في يوم الخميس طار روجه شومان في سباق ضد اربعة منافسين ، وانتصر . يوم السبت طار ضد منافس واحد . ولكن ذلك المنافس كان الموت ، وروجة شومان خسر السباق . »

جون ستاينبك JOHN STEINBECK

(١٩٠٢ –)

يعد هذا الكاتب من اعظم كتاب امريكا . وهو اكثر الذين ذكرتهم ميلاً الى جهة اليسار . اغضب الشيوعيين وجريدتهم New Masses عندما نشر كتابه In Dubious Battle الذي يصور اضراباً للعمال . ولكنه عاد فارضاهم تماماً عندما نشر كتابه الخالد « عنب الغضب » .

اما اسلوبه فواقعي ، صريح ، قوي . وابطال كتبه – والكثير منهم من مزارعين كاليفورنيا – يتكلمون بالعامية الاميركية الكاليفورنية التي قد يصعب فهمها على القارىء العربي الذي لم يتعود عليهــا .

واعظم كتب ستاينبك هو « عنب الغضب » الذي نال جائزة بوليتز . ويدعو الكثير من النقدة هذا الكتاب « اعظم كتاب خرج من امريكا في السنوات العشرة الاخيرة . » ولا ارى شخصياً انهم يبالغون . انا مولع بالادب الشيوعي وقد قرأت الكثير من كتب كتاب الشيوعية في انحاء العالم المختلفة : مثل دوس باسوس في امريكا ، وكريستوفر أشيروود في انكلترا ، واندره مالرو في فرنسا ، وشولخوف واليكسي تولستوي في روسيا السوفياتية نفسها ، ولكنني اعد ، دون اي تردد ، « عنب الغضب » اقوى واعظم ما قرأت .

في سنة ١٩٣٤ بينما كانت امريكا تتخلص ببطء من الازمة اشترت الشركات المالية الكبيرة اراضي المزارعين الصغار في اوكلاهوما ومونتانا وداكوتاس باثمان زهيدة وطردتهم منها . وبهذه الصورة اصبح آلاف من البشر دون عمل ، فاخذوا يهاجرون الى الغرب على سيارات فورد عتيقة وعربات ومشياً على الاقدام ليصلوا الى كاليفورنيا التي كانوا يأملون ان يجدوا فيها لهم اكلا وعملا . وقطعوا كل الطريق المسمى بطريق ٦٦، مخترقين في هجرتهم تكساس ، بانهندل ، نيومكسيكو ، وآريزونا . وفي الطريق مات الكثيرون منهم جوعاً وتعباً . وعندما وصلوا الى كاليفورنيا

اصيبو بخيبة أمل كبيرة هناك ، فان الرأسماليين استفادوا من كثرة الايدي العاملة واخذوا يشغلونهم باجور لا تكفي اسد الرمق ، ثم عندما ازدادوا عدداً اخذوا يطردونهم كالكلاب ويعينون الحراس على مزارعهم ليمنعوهم من قطف الاثمار .

كتب ستاينبك كتابه الخالد عن هذه الفتنة في تاريخ الولايات المتحدة الامركية . والكتاب طويل بين كل فصل وآخر من فصوله مقالة اقتصادية يصف فيها ستاينبك ماحدث ولمحدث وكيف يدير الرأسماليين حكومة امريكا من المركز . وقد احدث الكتاب ضجة كبيرة عند نشره ، وانتشر بسرعة . وقد ساعد على انتشاره ان هوليود اخرجته فيلماً بعد ان دفعت للمؤلف ٧٥٠٠٠ دولار ثمن اخراجه على الشاشة البيضاء .

يدعو ستاينبك في هذا الكتاب الشعب الى الثورة والغضب . والعنوان مأخوذ من ترتيلة دينية تقول : اله الغضب يدوس بقدميه عنب الغضب !

وشخصيات الكتاب فقيرة ، بعضها قوي وبعضها ضعيف ، ولكنه كلها يدرك عندما تزداد متاعبها ان طريق خلاصها الوحيد هو الاتحاد فالغضب فالثورة . من الشخصيات القوية الجذابة شخصية مبشر ديني لا يؤمن بالله ، يقتله رجال الشرطة وهو يقود اضراب العمال . وهذا المبشر الملحد يموت بعد ان يصرخ في رجال الشرطة : نحن رفاق ! ويذكرهم الاية الانجيلية التي تقول : سامحهم يا ربي فانهم لا يعلمون ما يفعلون .

وهذه فقرة ثانية من الكتاب يصف فيها ستاينبك سير الجياع بين مزارع على اشجارها اثمار تفسد ولكن الرأسماليين لا يسمحون لهم بقطفها لكي لا تسقط الاسعار : « كانت الحقول مثمرة ، والرجال الجياع استمروا يسيرون في الطرق . كانت المخازن مليئة ولكن اطفال الفقراء كبروا مصابين بامراض الكساح من الجوع . لم تكن الشركات الكبيرة تعلم ان الخط الذي بين الجوع والغضب خط رفيع . »

والكتاب ينتهي انتهاء رائعاً بفتاة تلد طفلاً ميتاً لسوء التغذية ، ولكنها لا تخسر حليبها بل تجعل شيخاً جائعاً يمتص ثديها ، وام الفتاة تقول : « نحن لن نموت — الناس سيعيشون . وسيتبدلون قليلاً ، ربما ، ولكنهم سيظلون يعيشون . »

خلدون ساطع الحصري



هكذا افهم التعاون الثقافي بين البلاد العربية

كان لموضوع جولة الاديب في الجزء الماضي اهتمام خاص بـدا في رسائل القراء واحاديثهم في مجالسهم العامة ، وكانت الاراء التي ابديت مثاراً للتعليق والمناقشة في كل مناسبة ، فرغبت الاديب ان تعيد هذا السؤال مرة اخرى ، على فئة جديدة من رجال الفكر والثقافة ، وعلى نطاق اوسع ، فاوفدتني لاسألهم رأيهم بالتعـاون الثقـافي بين البلاد العربية ، كل فيما يتصل بموضوع اختصاصه فاخترت استـاذين من الجامعة الاميركية واستاذاً من معهد الحقوق الفرنسي واستاذاً من جامعة القديس يوسف ، واديباً معروفاً . وقد سألت كذلك الاستاذ ساطع الحصري المستشار الفني لوزارة المعارف السورية فارجـأني مدة ووعدني – ووعد القراء – ببحث ضاف يتناول فيه الموضوع من شتى نواحيه ، ووعده دين . . واول من قابلت حضرة الاب يوحنا قمير استاذ الفلسفة العربية في جامعة القديس يوسف ، فوجهت اليه سؤال الاديب عن التعاون الثقافي بين البلاد العربية واهمية اعداده فاجاب :

اعداد التعاون الثقافي
الاب يوحنـا قمير
التعاون القضائي
الاستاذ نجيب ابو صوان
التعاون الطبي
الدكتور رئيف ابو اللمع
التعاون الجامعي
الدكتور قسطنطين زريق
التعاون الادبي
الاستاذ خليل تقي الدين

رأى الاب يوحنا قمير

في عالم الغد ، العالم الجديد ، ستعي الانسانية نفسها ، اكثر من اي عهد خلا ، رهينة تعاون عام ، ونظام شامل .

واذا رأت الامم الكبرى ضرورة هذا التعاون ، فكيف لا تراه امم صغيرة ، تنقصها القوى الكافية لتستقل كل منها في بناء حضارتها الفتية ؟ كيف لا تراه امم تتكلم لغة عربيـة واحدة ، وتعيش في هذه البقعة المختارة من العالم ، حيث تلتقي مجاري الفكر ، ويصطدم طموح الغزاة ؟ .

ليس يعنيني الان ان اتحدث عن تقارب سياسي او اقتصادي ، انما اسوق الحديث في مـا هو روح لكليهما ، في التعاون الثقافي .

الثقافة ، رهن جهود جبارة ، فكرية ومادية ، تقوم بها امة ، بفتح المدارس ، وانشاء الجامعات ، وتوفـير الاختصاص ، فاية امة صغيرة تقوى على مثل هذه الجهود ؟ .

هذا لبنان ، فاين سبل الاختصاص فيه ؟ اين يتخصص طالب الادب ، وطـالب الفلسفة ، اين يتخصص الطبيب والمهندس ؟ اين مؤسسات الاختصاص في كل فروع الفكر ؟ طالما نعوا علينا كثرة التعليم في لبنـان ، ولو انصفوا لنعوا نقص التعليم ، ونقص الاختصاص الذي به يتـرف الفكر على ابنائه الصالحين ، ويرقى المستوى العقلي في امة ؟ . تمثلت بلبنان لياقة ، مشيراً الى حاجته لتعليم ارقى ، ولو تمثلت بغيره لربما كنت اشرت الى تغلب الامية الفاحش .

فهل يبقى من ريب في فائدة تعاون ثقافي ، يتكتل له مفكرون ، وتعمل على تحقيقه امم ، فيتوفر الانتاج العقلي ، وتتوفر الموارد ، فعسانا نستطيع يوماً مجاراة الامم الراقية ؟ .

على ان هذا التعاون ليس بالامر اليسير ، الذي يرتجل ارتجالاً ، فيجب ان نستعد له بالبحث الطويل ، تقوم به لجان متخصصة ، كيلا نبني على اسس واهية .

هب ، مثلا ، انا اردنا وضع منهـاج مشترك لدرس الاداب ، فماذا ندرس فيه ، وباي لغة ؟ .

سندرس دون ريب لغتنا العربية ، والادب العربي .

ولكن ادبنا العربي ابن امصار ، فهناك ادب عراقي ، وادب شامي ، وادب مصري . . . وهناك ادباء متفاوتون قيمة وشهرة . فهل تقتصر كل امة على ادبائها الاقدمين ، كباراً وصغاراً ، مضحية بادباء الامم الاخرى ؟ ام هي تختار كبـار الادباء الى اية امة

انتسبوا ، مضحية بلونها الخاص ؟ ام هي تجمع بين الاثنين ، فتأخذ صفوة كتاب العربية ، ثم تزيد عليهم بعض ابنائها النابهين ؟.

وندرس ايضاً لغة اجنبية ، وادبا اجنبياً ، لان ادبنـا العربي قليل التنوع ، محدود الفنون ، محتـاج الى لقاح اوربي ، ولان حضارة الغرب عامة منهل سائغ لحضارتنا الناشئة.

ولكن اي لغة ندرس ، واي ادب ؟.

هل ندرس كلنا لغة واحدة ، ام تختار كل امة لغة تناسبها ، وتتفق مع ماضيها وحاضرها ، ام تترك كل امة لابنائها اختيار لغة تروقهم ، موفرة لهم سُبل درسها ؟.

ثم اي ادب ندرس ؟ هل ندرس ادب لغة اخترناها ، مهملين الاداب الاخرى ، ام ندرس ادبا عالمياً ؟ وهذا الادب العالمي ، اذا درسنا بعضه في لغته الاصلية ، فكيف ندرس الكثير البـاقي أفي ترجمات الى لغة اوربية ، ام في ترجمات عربية ؟ ام نحن نجمع بين الادب الخاص والادب العالمي، فندرس ادباً خاصاً كاملا في المدارس الثانوية ، وندرس ادباً عالمياً في مدارس اختصاصية عليا ؟.

هذه اسئلة عديدة حول مادة محدودة ، تثبت لنـا ما يقتضيه توحيد مناهج التعليم من درس واطلاع ، ناهيك عن باقي المظـاهر الثقافية ، وعن طرق التطبيق العملية.

الفكر رهن الفضاء الرحب ، والتعاون الثقافي عمل خطـير ، ولكنه عمل دقيق يقتضي الوقت والبحث ، ويقتضي المـال والاشخاص ، فلنعد له عدته ان اردناه بنـاء متيناً ، وغرساً مثمراً زكياً ، لنؤلف له اللجان العـامة والخاصة ، ولنعمل معاً على وضع اسس صحيحة تضمن النجاح في المستقبل.

رأي الاستاذ نجيب ابو صوان

ولوحظ في جولة الاديب الماضية ان الناحية القضائية من هذا التعاون لم يؤخذ رأي أحد بها ، وهي ناحية من الخطورة بمكان ، وليس من يستطيع الابداء برأي حاسم فيها كالاستاذ ابي صوان الرئيس الاول شرفاً لمحكمتي الاستئناف والتمييز في لبنان ، واستاذ الشريعة الاسلامية في معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ، ولم أكد اعلن له رغبتي في هذا السؤال حتى اشفق من تناول هذا الموضوع بمثل هذه السرعة وفي حديث خاطف ... ولكن لم يلبث ان تناول الحديث قائلا :

التعاون القضائي يتحقق في توحيد التشريع بين البلاد العربية وفي الاقتداء بمصر في سيرها التشريعي . ومن مصلحة التشريع ان يكون واحداً ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وتزول سدود الاختلاف بين البلاد العربية بوحدة التشريع وتخف وطأة اختلاف الاديان فيها.

ان اهم القوانين هو قانون الموجبات والعقود ، وليس ثمة من مانع يمنع توحيد هذا القانون بين البلاد العربية ومنها لبنان .

نلاحظ في هذه الايام ان في مصر نهضة تشريعية قوية ، فقد عدلت الحكومة المصرية مواداً كثيرة تتعلق بالمواريث ، فخرجت عن المألوف القديم الذي كان متبعاً في مصر ، ولا يزال متبعاً حتى الان في بقية البلاد العربية ، وهناك مشروع لتنظيم الوقف والوصية ، وهو يحتوي تبديلات خطيرة ، ولا شك ان هذه التبديلات تعتمد على الآيات والسنة والاجماع .

وانا عندما اتحدث عن التشريع اقصد ، طبعـاً ، ما يتعلق بالمعاملات ، هذا التشريع الذي يقترب من التشريع العصري الحديث في الجزائر ومراكش وتونس قوانين تشبه القوانين الحديثـة ، وأخذها عن الشرع الاسلامي ، فقد وضعت هذه القوانين ونظمت بعد ان اطلع على تشريعها علماء المسلمين في تلك البلاد وأقروهـا مستندين في ذلك على المذاهب الاسلامية ، فـلا ينبغي اذن ان يتبادر الى الظن ان الشرائع العصرية لا تنطبق على المسلمين ، وان الشرائع الاسلامية لا تقبل اي شرائع اخرى حديثة او غـير اسلامية ...

ان التقريب بين الشرائع والتأليف بين القوانـين في البلاد العربية يتحقق بتشكيل لجان من خيرة الرجال الحقوقيين المتفقهين من كل بلد من البلاد العربية فيوحدوا كل ما يتعلق بالمعاملات ، وكل ما يختص بالتجارة ، والتوحيد هنا واجب ، لان التشريـع الخاص بالاحكام التجارية لا علاقة له بالدين من ناحية ، ويسهل الائتلاف الاقتصادي من ناحية اخرى .

اما ما يتصل بالمعاونة القضائية فانه جرت ، في اوقات مختلفة بعض الاتفاقات بين لبنان وبين العراق ومصر وفلسطين وشرق الاردن، وكان ينوب عن لبنان في هذه الاتفاقات القضائية «المفوضية العليا الفرنسية » ، فمن الضروري في هذا العهد الجديد ان تراجع من قبل لجان خاصة لتهذب بعض موادها وتعدلها حسب ما يقتضيه الظرف الحاضر .

وفي اصول المحاكمة الحقوقية ، تؤلف لجنة مختصة كذلـك ، مؤلفة من اعضاء يمثلون كل البلدان العربية فتبحث في قضية مبادلة الاوراق القضائية مثلا ، او ما يتعلق بتسليم المجرمين وتنفيـذ

الاحكام التي تصدر من المحاكم المختلفة في انحاء العالم العربي ، وتعدل ما هو متبع حتى الان حسب الحس الجديد الذي يربط البلاد العربية ، وليست هذه المعاونة القضائية شيئاً جديداً فهي قائمة بين الجزائر ومراكش وتونس ، ومن الممكن اتباع آثارها والاضافة عليها بما تقتضيه الاحوال .

— ولكن أليس في توحيد التشريع عراقيل تقف في وجهه ؟

فاجاب الاستاذ ابو صوان على هذا السؤال : لا شك ان في توحيده صعوبات كثيرة ولكن كل مشروع جديد يعترضه صعوبات . ومن الممكن ان يطرأ على المشروع تعديلات بين الحين والحين ومع الاختبار ، معتمدين على القاعدة الحقوقية المعروفة : لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ، للتجدد والتطور .

وقد وصلني اخيراً من الاستاذ محمد ابو زهرة الاستاذ في كلية الحقوق في جامعة فؤاد الاول كتابه الجديد نظرات في مشروع قانون الوصية وفي مشروع تنظيم الوقف ، وبالرغم من ان هذا العالم القدير يعترض على امور كثيرة من هذين المشروعين اللذين يعتمدان على آيات كريمة واحاديث شريفة ولكنه يصوب تعديلات كثيرة منها

وعلى هذا الاساس يمكن تشكيل لجان من الاختصاصيين المتفقهين للبحث في أقصى مدى للتعاون القضائي الذي اساسه توحيد التشريع على قدر الامكان .

— وماذا ترون في مرافعة المحامين في بلدان عربية شتى ؟

— لا شك ان تقيد المحامين بالمرافعة في بلد واحد أمر يجب ان يزول ، فقد انتهى أمده ، فللمحامي ان يدافع في جميع البلاد العربية اذا كانت الدعاوي من النوع الذي يمكنه ان يكون وكيلا فيها وهي عائدة الى بلاده . وهذه نتيجة محتمة لتوحيد التشريع .

رأي الدكتور رئيف ابي اللمع

واتيحت لي فرصة الدخول الى عيادة الدكتور رئيف ابي اللمع الاستاذ في جامعة بيروت الاميركية ، بعد ان تركت قاعة الانتظار مزدحمة بالذين ينتظرون دورهم ، وبعد ان عرفته بانني لست — والحمد لله — مريضاً .. طلبت منه وصفة (روشتة) لقضيتين هامتين : كيف تفهم التعاون الثقافي ، وكيف ينبغي ان يكون التعاون الطبي بين البلاد العربية ؟ فكان جوابه ما يلي :

لا اعرف في اللغة كلمة براقة ، خلابة — ومطاطة ككلمة « التعاون » !

فكتابة بعض مقالات « للاديب » هي تعاون مع صاحبه . وتعاون ايضاً ، هو القيام بنصف النفقات .

والتعاون بين البلدان العربية ، سياسياً كان ، ام اقتصاديا ، ام ثقافياً ، يخضع لهذا الابهام . وليست الاتفاقات والمعاهدات والمؤتمرات هي التي ترسم حدوده ، وتطيل مداه ، بل هي وعي الشعوب العربية واخلاصها في العمل ، واستعدادها للمساهمة والتضحية في سبيل التضحية المشتركة .

فالتعاون الثقافي على ما افهمه يكون :

اولا : في توحيد مناهج التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، توحيداً يتناول درجاتها وصفوفها والمواضيع التي تدرّس فيها والكتب التي تُقرأ بها ، مع الاحتفاظ بحق كل بلد من تلك البلدان في التعمق بدرس جغرافيتها الطبيعية وتاريخها الخاص .

ثانياً : في قبول الشهادات المدرسية ، الفرعيه منها والنهائية ، ليسهل تبادل الاساتذة والتلامذة بينها . ففي تبادل الاساتذة والتلامذة ، احتكاك وتفاهم وامتزاج يؤدي حتماً الى احتكاك وتفاهم وامتزاج ابناء الجيل المقبل . فلا يعقل ان يكون هناك وحدة عربية حقيقية او تضامن عربي صحيح اذا لم يكن هناك تفاهم في المبادي ، وامتزاج في الاهداف ، وثقة وايمان في القلوب .

ثالثاً : فتح الاسواق العلمية في البلدان العربية — على اسوة فتح الاسواق التجارية — كتبادل الكتب والمجلات والصحف ونشرها وتشجيعها ، محلقين في ذلك فوق الحدود السياسية والاعتبارات الاقليمية والانانيات القومية .

رابعاً : توحيد المجامع العربية ، اللغوية والعلمية . فيكون مجمع لغوي واحد ، ومجمع علمي واحد ، ومجمع فني واحد ، للسهر على اللغة وعلى العلوم والفنون العربية .

واللغة العربية في مأزق حرج وفي حاجة ماسة لهيأة « عصرية » نشيطة ، حازمة ، تضبط قواعدها الشاردة ، وتسهل دراستها المضنية ، وتوحد مصطلحاتها المبعثرة ، لتستطيع الجري في مجاري العصر الحاضر الذي يتطلب سرعة في الدرس ، وصراحة في التعبير ، واحكاماً في الفن ، اكثر مما يتطلب شذوذاً في القاعدة ، وتعقيداً في الكلام واحجية ومعميات .

واما سؤالك الثاني عن التعاون الطبي فاجيب عليه ، بان الطب علم وفن كغيره من العلوم والفنون . فيصدق عليه ما يصدق عليها كلها ، سواء في توحيد برامج دراسته ، او في تبادل اساتذته

وتلامذته ، او في توحيد مجامعه .

ان الطب العربي الذي لعب دوراً كبيراً في تاريخ العلم ، وتحكم طيلة ٥٠٠ سنة في صحة البشر ، لا يتسنى له ان يستعيد مكانته وان يعيد سيرته ، الا اذا اتحدت البلدان العربية وتضامنت في ادارة مؤسساته ، وتنظيم دراسته وممارسته .

ليس في الاقطار العربية اليوم قطر واحد يستطيع ان يؤسس جامعة طبية عربية تجاري وتسابق جامعات الغرب . ولا ان ينشئ مؤسسات صحية او معهداً للابحاث الطبية بالمعنى العصري الصحيح . بل لست مغالياً اذا قلت: ان يؤلف كتاباً طبياً او يصدر مجلة طبية تمتد شهرتها الى خارج حدود بلاده الضيقة ، لما تتطلبه هذه الاعمال من جهود جبارة ، ونفقات طائلة ، وجو طليق فسيح

ولكنني اثق ان البلدان العربية اذا وحدت جهودها وتعاونت وتضامنت بثقة وتساهل واخلاص ، تستطيع ان تعيد الى اسماع العالم ذكر خلفاء النساطرة وابن سينا والرازي وابن رشد .

ولكنه يسهل عليك ان تحلل الامور ، وتعين الاهداف ، وتختط الطرق ، ولكن العقدة في العمل ، والعبرة في التنفيذ . لان اكثر الذين — يستطيعون — هم الذين لا يعرفون . . . او لا يريدون !.

رأي الدكتور قسطنطين زريق

.. ودون الوصول الى الدكتور زريق أهوال وأهوال .. فا حاولت الاتصال به تلفونياً الا وقيل لي: دخل لالقاء محاضرة ، او الان خرج من درسه لجهة مجهولة ... والجهة المجهولة هنا غرفة الدراسات الاسلامية في الجامعة الاميركية وصممت ان ازوره نهار احد في منزله ، وذهبت ، فقيل لي : انه توجه منذ الصباح الى مكتبة الجامعة ...

... الى ان اتيحت لي فرصة سانحة اجتمعت فيها معه ورغبت اليه ان يجيبنا عن رأيه بالتعاون الثقافي بين البلاد العربية في حقل التعليم الجامعي فقال :

للتعاون الثقافي بين البلاد العربية في ما يختص بالتعليم الجامعي سبيلان : الاول خارجي شكلي يتناول تعادل الشهادات ، وتشابه الانظمة والقوانين ، وتقارب مناهج التدريس ، وتوحيد لغة التعليم وامثالها من الامور الادارية التي يمكن ان تنظمها ادارات المعارف في البلاد العربية بالاتصال والتشاور ، او بواسطة المكتب الثقافي الذي بدئ بانشائه في مصر .

على ان جميع الجهود المبذولة في هذا الوجه لا تبلغ غايتها او تؤتي ثمارها ما لم يسلك السبيل الاخر ، والاهم في نظري . وهو السعي لان تكون الجامعات في البلاد العربية قائمة على المبدأ الجامعي الصحيح : اي على طلب الحق الصريح ، والرغبة في المعرفة الخالصة ، وان تفهم هذه الجامعات واجبها السامي الذي تتفرد بها عن سواها من المؤسسات : وهو العمل على بث هذه القيم العقلية والروحية في البلاد ، والمساهمة في البعث القومي عن هذا السبيل .

فاذا حددت كل من الجامعات في بلادنا العربية وظيفتها على هذه الصورة ، اصبحت تصدر عن روح واحدة ، وغدا التعاون بينها محتماً لكونه منبعثاً من طبيعتها وجوهرها . فاسرعت الى التعاون الشكلي الذي اشرنا اليه دون جهد او عناء .

ولا تتم وحدة الهدف هذه الا عندما يتوفر للجامعات في البلاد العربية جماعة كافية من الاساتذة ممن عرفوا معنى « الجامعة » حق المعرفة ، ووقفوا في الوقت نفسه على حاجات البلاد الاصلية العميقة ، فجسدوا في شخصهم وسلوكهم المثل العليا التي يجب ان يسعى اليها التعليم العالي في بلاد ناشئة قومياً كبلادنا ، فكانت حياتهم رمزاً صادقاً للجد في الطلب ، والسعي الى نشر العلم وخدمة الحق ، والشعور البالغ بالواجب الدقيق ، والعمل الهادئ لرفع البناء القومي على هذه الاسس الصالحة المتينة .

« الجامعة » في النهاية جماعة اساتذة . ومتى امكننا ان نخلق في البلاد العربية جماعات من الاساتذة يرتفعون الى المستوى الذي يفرضه موقفنا التاريخي الحاضر ، لم تبق مشكلة التعاون الجامعي مشكلة اساسية . فاذا اراد القائمون على الامر ان يعالجوا قضية التعاون في حقل التعليم العالي من اصولها ، وجب ان يبدأوا هنا : اي ان يدرسوا السبل والوسائل التي يوجدون بها جيلاً من الاساتذة يحقق في نفوس افراده معنى التعليم العالي ، فتخلق الجامعات خلقاً جديداً ، ويكون التعاون بينها امراً مكفولا

رأي الاستاذ خليل تقي الدين

ومن ينوب عن الادب في هذه الجولة ? ما أسرع ما وجدت



دراسات عن مقدمة ابن خلدون

للاستاذ ساطع الحصري – الجزء الثاني – ٢١٦ صفحة
مطبعة الكشاف بيروت

مرة اخرى يعود الاستاذ الحصري الى نشر دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ومرة اخرى نعود الى الكتابة عن ثمرات هذا الجهد الموفق . فذا هو الجزء الثاني من دراسات الاستاذ الحصري ، وهو يشرح ويفسر ويلاحظ ويعلل سائر ما حفلت به المقدمة من بحوث أصلية واستطرادات جاءت خلال عرض ابن خلدون لها .

والاستاذ في هذا الجزء مثله في الجزء الاول ، دقيق الملاحظة عميق الفهم لابن خلدون ، حتى لنقول وبحق ايضاً انه يسير مع فكره الى اقصاه ثم يعرضه كلا مجموعاً وليس بدداً مبعثراً . وشيئان يلوح لي ان التنبيه عليهما ضروري وهما :

(أ) الثقة الكبيرة التي يعرض بها دراسته .

(ب) الاطمئنان الذي يستشعره المطالع اثر استيعابه لها او تقلبه معها ، فليس هو امام تخلع او اضطراب وليس هو امام ارتجال اوانتزاع يباعد بينه وبين الوثوق .

والآن من الخير ان نعطي عن هذا الجزء خلاصة سريعة تصل القارئ به من بعيد :

يبدأ بفصل عن التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات ص٥ – ١٠ عرض فيه الاستاذ المؤلف اولاً ، لنظرية التطور وكيف انتقلت من حقل الحياة الى حقل الاجتماع وثانياً لمعالم هذه النظرية في المقدمة ، ومن رأيه ان الباحث ، يجد بين شتى ملاحظات ابن خلدون ما يمكن ان يعتبر تصميماً لهذه النظرية على شكلها الحيوي العام ، وما يجب ان يعتبر تعبيراً مكتملاً لشكلها الاجتماعي الخاص .

وفي فصل المذاهب الاساسية في علم الاجتماع ص ١١ – ١٧ يعرض وجهات النظر في علم الاجتماع ، من النظرة الآلية الى النظرة الحيوية العضوية فالنظرة النفسية فالنظرة الاجتماعية ، ثم يثبت ميله الى النظرة الاخيرة ويرجحها . ويعقب على التمهيد بأن في المقدمة بذور هذه النظرات كلها ، وان كانت تغلب فيها آثار النظرة الاجتماعية .

وفي فصل الدولة وتطوراتها ص ١٨ – ٥٠ يصرح بان ابن خلدون عني بموضوع الدولة عناية كبيرة ، حتى لقد خصص ثلث المقدمة لها تقريباً . ثم يمهد للبحث بنظرات يتناول بها اولاً ، ان المقدمة لم تعرف الدولة تعريفاً مستقلاً ولكن يستطاع استنتاج ان مفهومها هو الملك التام . وثانياً انها تشرح التأثير المتقابل بين الدولة والاجتماع ، وأهمية الدولة بالنسبة الى المجتمع ، وتستعمل في شرحها تعبيرين جديدين : الدولة الكلية والدولة الشخصية . وثالثاً أن الدولة لا تبقى على حالة واحدة من الثبوت بل تتطور بكل نواحيها في اتجاه معين ووفق نظام ثابت ، وهذه التطورات الطارئة على الدولة تشمل ناحيتين :

(أ) التطورات التي تحدث في ناحية الاحوال العامة والاخلاق .

(ب) التي تحدث في ناحية العظم واتساع النطاق .. ورابعاً رأيه في اطوار الدولة يستند الى نظرية أخرى وهي نظرية عمر الدولة ، وهذه تستند الى نظرية أخرى أعم منها وهي نظرية الحسب . وهكذا يسير الاستاذ المؤلف في بحث الدولة عند ابن خلدون سيراً مدققاً ، يستند الى جمع مختلف الفقرات المبعثرة هنا وهناك من المقدمة وتوزيعها على مناسباتها من البحث في بصيرة واعية متحرية ، ولعل هذا الفصل اقوى فصول هذا الجزء .

وفي فصل الحروب ص ١٥ – ٧٨ يلخص مباحث المقدمة عن منشأ الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها وتعبئتها واسباب الغلبة والظفر فيها ، ثم يعرض تقسيم ابن خلدون لها الى نوعين اساسين وهما : حرب الزحف وحرب الكر والفر ، وموازنته بينهما التي انتهت بتفضيله القتال من النوع الاول على القتال من النوع الثاني .

وفي فصل النفس الانسانية ص ٧٩ – ٩٩ يوافق الاستاذ المؤلف في تحديد جوهر النفس وملكاتها على ما يرى ابن خلدون ، وليس بنا حاجة الى ذكر شيء منه فقد سبق لهذه المجلة ان نشرت بعضه .

وفي فصل التربية والتعليم ص ١٠٠ – ١٤٩ يبدأ بنظرات عامة ينتهي بعدها الى هذه النتيجة وهي : ان ابن خلدون كان معتقداً بتأثير العلم التربوي ، وان نظرياته وان حامت حول التعليم كثيراً فلم تخل من ملاحظات في التربية ، كما لاحظ ما يحصل في نفس المتعلم من الانتقال ولذا قرر ان تأثير التعليم لا ينحصر في العقل وحده بل يتعداه الى الاخلاق ايضاً .

ثم يوضح ان ابن خلدون ينظر الى التعليم كاعمولة اجتماعية ، وينظر الى تطوره ونشوئه بنفس النزعة الاجتماعية أيضاً فالتعليم عنده يتقدم ويتأخر تبعاً لتقدم المجتمع وتأخره . وأخيراً يشرح اصول التعليم عنده وأن طريقته تشبه الطريقة التي سيطرت على تنظيم الدراسة الابتدائية في فرنسة منذ اوائل القرن التاسع عشر .

وفي فصل التفكير والايمان ص١٥٠ – ١٧٢ يؤكد ان ابن خلدون كان مؤمناً قوي الايمان ولكنه مع ذلك لم يكن يذهب مذهب الذين يحاولون تحكيم الدين في كل شيء ، وذلك لان غايات الدين محدودة بما لا سبيل الى معرفته بمحض النظر العقلي ، كما لا يسترسل في الاعتماد على العقل اعتماداً كلياً بل يقرر ايضاً ان مدركاته محدودة بحدود طبيعية ، ولذلك تجده يسعى الى تمييز نطاق العقل من نطاق الدين .

وفي فصل التشبيهات المادية ص ١٧٣ – ١٨٠ يقرر أن أبرز صفات عقلية ابن خلدون هي : شدة التشوف ودقة الملاحظة ونزعة البحث والتعميم والقدرة على الاستقراء وقلما نعثر على آثار الاندفاع وراء

المجردات والاسترسال في سبيل الاستنتاجات ، وبسبيل ذلك عقد هذا الفصل كي يبرهن على ان كثرة التشبيهات المادية والامثلة الحسية عنده ظاهرة من ظاهرات تلك العقلية .

ودون ريب ان اطرف ما في هذا الجزء هو الفصل الذي عقده على نقد كتاب (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) للدكتور طه حسين ، وهذه الطرافة متأتية من ان الاستاذ المؤلف يمثل الواثق اشد الوثوق بان ابن خلدون اول من حاول جعل التاريخ علماً واول من حاول وضع علم الاجتماع ، والدكتور طه حسين يمثل الشاك اشد الشك في كل ذلك .

وفي الحق ان اسلوب الاستاذ المؤلف في المناقشة كان هادئاً جداً دون صخب ولا ضجيج ، ولكننا في الوقت نفسه نسجل ملاحظة عامة على مجموعة هذه الدراسات وطريقة كتابتها ، بأنها جاءت نتيجة اقتناع سابق بالتطاول الفكري لدى ابن خلدون ثم نتيجة اعجاب غير محدود ايضاً ، دفعته كلتاهما الى جعل الخاطرة الساذجة اساساً نظرياً تتكشف حوله نتائج جهد فكري طويل وهي في حقيقتها غريبة عنه .

وهذه الطريقة تسمح بجعل الشاعر عالماً كل العالم، وتسمح ايضاً باضافة اعمق النظريات الى الخاطرات العفوية البحتة عدا ما تجر اليه من مناقضات ومفارقات . واليك هذا المثال انتزعه من بعض فصول هذا الجزء : فقد ذكر الاستاذ المؤلف في فصل المذاهب الاساسية في علم الاجتماع بعد سردها السريع ، بان مقدمة ابن خلدون تحتوي على بذور لمختلف هذه المذاهب الاجتماعية . ولكننا نعرف ان هذه المذاهب متناقضة الطريقة والنتيجة ، اذن فالمقدمة الخلدونية على هذا مجموعة متناقضات .

وهذا يضعنا امام امرين : اما ان ابن خلدون لم تتوضح له الطريقة ، واما ان ما جاء في مقدمته لا يعدو ان يكون خاطرات ابتدائية ساذجة لا تسمح بان تكون اساساً نظرياً .

والذي نعتقده نحن ان ابن خلدون كانت عنده بادرة تفكير اجتماعي ، ثم لم تقتصر على كونها محض بادرة بل تحددت في تفكيره دون ان تتخذ لها صبغة علمية واضحة ، فمجموعة افكاره شيء فوق البادرة ودون النظرية .

هذا مثال من امثلة في الكتاب لا تضع منه ولا تغض من قيمته ، بل توفر عامل الشوق في الآخرين لاصطناع دراسات جديدة على الموضوع .

ومهما يكن من شيء فلسنا نرتاب ، في ان هذا الكتاب اشتمل على انضج كل الدراسات العربية عن ابن خلدون واوسعها .

عبدالله العلايلي

تاريخ العرب القومي

للاستاذ جميل بيهم – ٥٠٠٠ صفحة تقريباً – مخطوطة

هو مخطوطة لما تنشر بعد ، وكان لي الحظ اني وقفت عليها وكان لي الحظ مرة اخرى اني سبقت الى التعريف عنها ومشاركة القراء المتعة التي شاعت في نفسي فور المامي بها .

فهذا اول عهد العرب بتاريخ ليس يحفل الا بهم كمجموعة حية ومدى نشاطها ، وليس يحفل الا بقوميتهم في دوري ارتفاعها وهبوطها وفي مرحلتي امتدادها وتقلصها . ثم في مسافات استمدادها الخاص الذي رسمت خطوطه في حقل البشرية والوجود الانساني ، والخطوط التي هي مهيأة لرسمها من جديد .

فجاء هذا الكتاب غذاء قومياً صالحاً في هبة الانبعاث والانقلاب التي سوف تصل ما انقطع ، وتدفعنا الى العضوية العاملة الى مكاننا المنشود في الجمعية البشرية المتطلعة والماضية قُدُماً ابعد ما رسم ويرسم الفن الانساني .

وفي القومية نحن نعرف ان وحدة الماضي ووضوحه عنصر هام في جملة عناصرها ، ان لم يكن اهمها جميعاً . ورغم ما يجنح اليه التفكير القومي الحديث من الاهتمام بوحدة المستقبل في الآمال والمصالح والاهداف، فليس من يرتاب في ان المستقبل ليس الا امتداد الماضي ، وبتعبير آخر ليس الا خزاناً تنحدر اليه مجاري الماضي وروافده كي يتدفق بها من جديد في انقذاف واندفاع .

فحاجتنا اذن اكيدة الى تاريخ قومي خالص يحرك فينا قوى الماضي ، ويصوغها في شكل يوفر بها قوة الانبعاث في اتجاه المستقبل ، اي شيئاً مثل هذا الكتاب القيم الذي ابدعته يراعة المؤرخ الكبير الاستاذ جميل بك بيهم .

والاستاذ بيهم عرفناه مؤرخا يتعدى الوصف الى التفسير والرصف الى التعليل ، وليس كتابه « فلسفة التاريخ العثماني » الذي اخرجه من قبل وكتابه « تاريخ العرب القومي » الذي يعده اليوم ، الا ثمرتين نادرتين كما تشاء النزعة الحديثة في منهج التاريخ . ودون ريب ان عمل المؤرخ في حدود هذا المنهج ليس عملاً هيناً يسير التناول ، وليس هو ايضاً مجرد توفر المصادر وسعة الاطلاع ، بل عمل يستغرق ذلك ويتطلب توفر خاصيات ثلاث : خاصية العالم والروائي والكاتب اي الاستقراء والخيال والاسلوب .

فكانت مهمة المؤرخ لذلك شاقة وخطيرة ، فهي تعالج وتعنى بثلاث نواح : المادة والطريقة والغاية .

وفي معرفتنا جميعاً ان التاريخ من ناحية المادة ، يشمل الحياة البشرية في ظاهرة تطورها . فهو اذن شامل شمول الحياة نفسها ، بل هو في بعض النزعات شامل شمول الطبيعة بكل ما اجتمع فيها واستوى عليها . فلم يعد في وسع المؤرخ الحقيقي الجدير بهذا اللقب ان يقتصر على جانب دون آخر ، فهو اذا ذكر الاحداث فليس مستطيعاً ان لا يذكر الى جانبها المظاهر الطبيعية والاجتماعية والعوامل الاقتصادية والتطورات العقلية التي رافقتها وكان لها فعل وتأثير ، فالاحداث في الغالب او دائماً – على ما اظهرت العلوم الاجتماعية – ليست سوى نتيجة تفاعل هذه العوامل . كما اظهرت ايضاً ان الحياة البشرية في صميمها ومهما تباعدت وحدة لا تتجزأ ، فالتاريخ لكل بقعة ولكل امة مرتبط وعلى شكل وثيق بتاريخ البقاع الاخرى والامم المختلفة .

وليس من سبيل بعد هذا الا ان يفترض في المؤرخ الحقيقي ، الشعور باتساع الحياة ووحدتها على وجهها من الانطباق والدقة . . . وايضاً في معرفتنا ان الطريقة التاريخية – وهي تقوم على التحقيق والعرض – لها وسائلها البالغة الجهد ، ثم هنالك غاية التاريخ وكيف يحتاط المؤرخ بهاليها .

على هذا المنهج العلمي الدقيق ووفق خطوطه وطرائقه ، يسير الاستاذ بيهم في تقديم تاريخه الجديد الذي يعد عملا كبيراً ، لا سيما في ظرف العرب القومي الذي هو انبعاث وكفاح ، ولا شك ان استعادة ذكرى التاريخ قوة لا تدحر بسبيل هذا الانبعاث وهذا الكفاح .

الباعث على التأليف : لتلك الغاية القومية ولها فقط عمل الاستاذ بيهم ، وما فاته التصريح بانها تجيء في الدرجة الاولى مما قصد اليه . وينبغي الآن

ان نستمع اليه وهو يحدثنا عن البواعث والاسباب التي ساقته الى القيام ببذل هذا المجهود وتوفير هـذه العناية ، وعن الظروف والملابسات التي احاطت هذه الرغبة عنده وأومضتها . قال في المقدمة .

اثناء التجوال في اميركا بين عامي ١٩٣٨–١٩٣٩ في عضوية الوفـد العربي الفلسطيني ، شعرت بان تاريخ امتي العربية ليس هو في عداد ماتحول عنه الشعب فقط ، بل قد مُني بظروف شتى رسمته على شكل يتنـافى مع الحقيقة . أجل رغم ان العرب صاغوا حلقة ثمينة كانت صلة الوصل بين المدنيات ، فكتب التاريخ التي دونت خلال التنازع الديني لم تسلم من تأثير العواطف ، وعملت بالتـالي على ان يرجع الاوربيون تمدنهم الحديث الى حضارتي روما واثينا مباشرة .

وان من الحيف ان يظل العالم المتمدن يتخيل العرب على غير حقيقتهم ، ولربما ظل العرب نسياً منسياً لولا بعثهم القومي ، فان الاتفاق بـين الملك حسين وبريطانيـا وما تلاه من اعلان الثورة ودخول العرب الى جانب الحلفاء ، ثم ما حدث بعد ذلك من نضال الامصار العربية في سبيل الاستقلال ، اثار اهتمام العالم لمعرفة اخبارهم وقضيتهم . . .

ثم رغبة في ان يكون لنا تاريخ قومي يجمع التاريخ منذ فجره ، تاريخ اذا ما تأمل فيه المغربي او المشرقي ، واذا ما قرأه المسلم او المسيحي او غيرهما من ابناء العرب ، ألفوا فيه على السواء تاريخ قومهم واحس كل منهم بالروابط التي تربطه بسائر اخوانه في اي قطر كانوا ولاي مذهب انتسبوا .

ومن هذه الفقرات ندرك انه اجتمع في جملة البواعث ، ما هو ذاتي صرف من جهة الانتساب ، وما هو موضوعي تاريخي من جهة تشويه الحقيقة التاريخية ، وما هو موضوعي حقوقي من جهة الافتيات المغرض على القضية العربية ، وما هو ذاتي موضوعي من حيث الرغبة في ان يكون للعرب تاريخ قومي خالص .

فان كتب التاريخ العربية على كثرتها جاءت تاريخاً للاسلام وحركات امتداده ودوله ، وليس بينها ما يعد بالتعبير الدقيق تاريخاً عربياً صرفاً . اضف الى هذا كله ان منظمة امريكية علمية تعنى باخراج موسوعة تاريخية للشعوب ، عهدت الى مؤرخنا المذكور بالقسم الخاص بالعرب .

طريقته في التاريخ : جرى الاستاذ بيهم في وضع هذا المؤلف النفيس على طريقة مبتكرة ولكنها جد قيمة ايضاً ، فهو بواسطتها استطاع تذليل عقبة كانت منجما ابداً للاضطراب والتبلبل .

سيما وان علوم الانسان لم تنته بعد الى نتائج قاطعة في العروق وانشاباتها ، على ان التقسيمات المعروفة لدينا والشائعة باصطلاحاتها لم تزل مستندة على جدول المواليد والانساب الوارد في سفر التكوين من التوراة ، وقـد اظهرت الحفريات وسلسلة التحقيقات انه لم يسلم عن الخطأ . ولذلك شق الاستاذ بيهم له طريقاً خاصاً يجنبه كثيراً من الاوهام ، وحسناً ان نترك له الحديث عن طريقته المذكورة التي شاء السير عليها قال في المقدمة :

« وسلكت بهذا المؤلف في تحديد العناصر العربية منهاجاً يختلف على اختلاف الزمان ، ففي التاريخ القديم عدلت عن الطريقة التي تعمل عـلى تفريع الامم من نوح وابنائه ، الى الاعتماد في تعيين الاصل القومي عـلى الوطن . فاعتبرت موجات الاقوام التي صدرت تباعاً عن جزيرة العرب عربية ، واهملت تسمية المؤرخـين لهم بالساميين . لان الوطن الذي اتخذناه مصدراً للنسب هو حقيقة راهنة ، بينما سام واخوته فقد يكونون اسماء لمسميات رمزية ولا نكون مفتئتين على التاريخ في ذلـك ، فهذه لغاتهم العربيـة والعبرانية والفينيقية والسريانية والارامية تشهد بـان الاصل واحد .

على انا مع ذلك لم نحفل في هذا العهد باعتبار تباين اللغات دليلاً على تباين الاصول ، لان حياة كانت وقتئذ اقرب الى العزلة منهـا الى الاختلاط ، من شأنها ان تباعد بين الالسنة حتى تصبح لغة اليمن بعيدة في المظهر عن لغة الحجاز على ما بين القطرين من القرب والقرابة .

ونحن وان كنا لا نجهل ان العروبة اخص من السامية وانها احـدث ايضاً من تاريخ الموجات التي صدرت عن الجزيرة ، ولكنا فضلنا مـع ذلك اختيار هذه الطريقة تخلصاً من بلبلة الانساب التي وقع فيها المؤرخون . فقد نسب بعضهم دولاً كلدانية الى سام وارجعها آخرون الى العرب ، بينما غيرهم ذهب الى انهم من اولاد حام .

وفي تاريخ القرون الوسطى اضطررنا ايضاً لان نحيد عـن اللغة والحضارة في تعيين العناصر العربية ، لان العربية كانت قد اصبحت فيه لغة السياسة والثقافة . ولو اردنا مجاراة المؤلفين واحصاء الحكومات الاعجمية التي اعتمدت العربية وحضارتها في هذه العصور ، لجاء هـذا الكتاب تاريخاً للاسلام اكثر منه تاريخاً قومياً .

واما في التمدن الحديث فقد عولنا على اللغة والحضارة ، فاحصينـا الامصار التي احتفظت بالعروبة حتى الآن في عداد العرب ، لا فرق في ان يكون دمها عربياً صرفاً كما في نجد او مزيجاً كما في مصر » .

ولا ريب في انها طريقة مثلى تكيفت مع كل حقبة او فاصلة تاريخية كبرى ، بما من شأنه ان يحددها في شكل دقيق .

تقسيمات الكتاب : يستطيع القارىء ان يكوّن رأياً عن قيمة هذا الكتاب واهميته بالاطلاع على تقسيماته الرئيسية دون مـا خوض في التفصيلات ، سيما حين يقف على القسم الخـاص بالعرب ابان عهود الاضمحلال ، هذه الفترة المجهولة او المبعثرة التي تحملنا على اكبـار مجهود يقدمها لنا واضحة تامة الجوانب والاطراف ، ويعرضها لاول مرة عرضاً فيه وفاء وفيه تحقيق . يبني الاستاذ بيهم كتابه على هذه التقسيمات الآتية ، ومن المستحسن ان نوردها ولو في خطوطها الكبرى :

« ١ » العرب في العهد القديم : يشتمل اولاً على تمدن العرب بشمالي الجزيرة ويشتمل ثانياً على تمدن العرب بجنوب الجزيرة وتاريخ اليمن السياسي ودولة حمير وتاريخ اليمن المدني ، وثالثاً يشتمل على تمدن العرب باواسط الجزيرة والعدنانيين والعصر الجاهلي ودور الانتقال من التاريخ القديم الى الحديث منذ القرن الخامس الميلادي حتى ظهور الاسلام ، ولا يفوته عرض التطور السياسي والاجتماعي والادبي .

« ٢ » عصر الحجاز : يشتمل على ظهور محمد وسيرتـه حربياً وسياسياً والعوامل التي ساعدته ، ثم سيرة الخلفاء تنظيمياً وحربياً والعوامل التي يسرت للخلفاء النجاح .

« ٣ » عصر الشام : يعرض الفترة بـين الخلافة والملك ، والدولة الاموية بدمشق سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

« ٤ » عصر العراق : يعرض النضال السياسي بين العصبيات العربية وفوز العباسيين ، ويفيض في الكلام عـلى الدولة العباسية سياسياً وهو يقع عنده في عصور ، عصر وزارة الفرس ، عصر وزارة الترك ، عصر آل بويه الديلم ، عصر آل سلجوق ، الامارات العربية عهد العباسيين .



الاستاذ خليل تقي الدين يتحدث

بعد إن تحدث الينا الاستاذ خليل تقي الدين عن رأيه بالتعاون الثقافي المنشور في جولة الاديب من هذا العدد سألناه :

– كيف وجدتم الانتاج الفكري في مصر في زمن الحرب ؟

فاجاب :

– اني من الذين يؤمنون بان الحوادث الكبرى هي خير مهاز للادباء . والحرب في طليعة الحوادث التي اشير اليها ، ولكنني لاحظت ظاهرة في مصر لفت اليها نظر بعض الاخوان هناك ، فقد قلت لهم : انه لما يثير العجب ان نرى نفراً من كبار الادباء ينصرفون عن الخلق والابداع ويتناولون سائر الموضوعات التي هي في رأيي موضوعات دراسة وبحث يقبل عليها المنقب والمؤرخ والاجتماعي اكثر منها مواضيع انشاء وخلق يعنى بها الفنان . فاذا انت تناولت كتب هيكل والعقاد وطه حسين في الطور الاخير رأيت اكثرها قيماً ولا شك ولكنها دراسات لا ابداع ، وانني شخصياً اكثر ميلاً الى النوع الذي يصدر عن المازني او تيمور او بشر فارس مني الى كتب الدراسات مهما بلغت من الروعة والقوة .

– نعلم انكم تودون طبع كتابكم الجديد عن احداث لبنان الاخيرة في مصر ، فاين بلغتم في هذا الشأن ؟

– لا استطيع الان ان ادلي باي معلومات حول هذا الموضوع . .

فقلت : – وكتابكم الاخر خواطر ساذج الذي صدر في بيروت وانتم موجودون في مصر ، لم يصلنا الى الان لتبدي « الاديب » رأيها فيه .

– ولكن ماذا ترون اذا قلت لكم بانه لم يصلني كتابي حتى الان . . فقد طبع في غيابي واطلع عليه القراء قبل ان اطلع عليه . . . ولكنني سابعث به اليكم ولا شك ، ثم انه في رأيي كتاب يجب ان يعنى به طلاب المدارس قبل اي فريق آخر من القراء .

– وما هي مؤلفاتكم الجديدة ؟

– عندي هياكل وتصاميم لبضعة مؤلفات واكثر من عشرين قصة تنتظر ان اوقظها من سباتها ، لكن أترى الى حياة الاديب حين تكرهه ظروف العيش على ان يكون موظفاً اولاً واديباً ثانياً ، وهو لو خير لكان اديباً اولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً . . .

واعتقد ان اول كتاب سيصدر لي من الان الى ثلاثة اشهر سيكون في سلسلة « اقرأ » وقد اتفقت معها عليه .

حول مهرجان المعري

علم القراء ولا شك بنبأ المهرجان الكبير الذي عزم المجمع العلمي العربي على اقامته ، لمناسبة مرور الف عام على وفاة فيلسوف المعرة . وقد ادلى دولة سعد الله الجابري ، رئيس الوزارة السورية بتصريح ايد فيه فكرة المهرجان وشجع على اقامته ، ورجا أن تشترك سائر البلاد العربية به ، نظراً لما للمعري من مكانة كبرى في تاريخ الادب العربي ، وتمنى في ختام تصريحه ان يكون موعد هذا المهرجان في الربيع .

وبقدر ما سرنا هذا التصريح ، ساءنا ما حدثتنا به شخصية مسؤولة كبيرة في المجمع اذ قالت ان المجمع كتب الى المسؤولين في الوزارة يستأذن في اقامة المهرجان المذكور ، فتلقى الجواب بعدم الموافقة على اقامته ، نظراً لظروف الحرب الحاضرة التي تتطلب السكينة والهدوء على ان يقام المهرجان بعد الحرب ! . .

اننا نأسف اشد الاسف لهذا التأجيل الذي لا نجد له مبرراً ، ونرجو ان يعيد المسؤولون النظر في القرار الذي اتخذوه ، اذ ان اقامة مهرجان لمثل هذا الشاعر لا يقصد منها سوى العمل الادبي الصرف ، ولا سيما ان القائمين على المشروع اشخاص مسؤولون يمثلون هيئة رسمية لها مكانتها وقيمتها في البلاد .

« ٥ » عصر مصر : يشتمل على تاريخ الدولة الفاطمية سياسياً وعمرانياً وثقافياً .

« ٦ » عصر افريقية : يشتمل على تاريخ الفتح العربي الاول والثاني والثالث ، ودولة بني الاغلب بتونس ودولة آل ادريس .

« ٧ » عصر الاندلس : يشتمل على تاريخ العرب السياسي باسبانيا .

« ٨ » التمدن العربي في الممالك الاسلامية .

« ٩ » تأثير التمدن العربي باوربا واثره .

« ١٠ » العرب خلال حكم آل عثمان سياسياً واقتصادياً وادبياً واستقلالياً ، وهذه حلقة مفقودة من التاريخ العربي تقريباً .

« ١١ » عصر الاستعمار والحمايات .

« ١٢ » القومية العربية في مظهرها الحديث .

« ١٣ » القضية العربية بعد الحرب العامة في الشرق الادنى بآسيا .

« ١٤ » النهضة القومية بعد الحرب الكونية الكبرى في افريقيا .

« ١٥ » عصر الانتدابات .

« ١٦ » عصر الاستقلال .

« ١٧ » العرب خلال الحرب الحاضرة .

هذه هي أهم تقسيمات الكتاب ، ولا ريب في انها مشروع ضخم استطاع الاستاذ المؤلف ان يضع خطته ويشيد صروحه في نجاح كبير وتوفيق غير قليل . بله انه ربط الحوادث والعصور على اساس القاعدة السببية ، التي نجح في اشاعتها وفرضها ، وهي تجعل من التاريخ فكراً مطبقاً على الواقع او واقعاً منسجماً في الفكر .

وبعد فلدس يفوتني ان انوه بقيمة هذا الانتاج سواء في حقل القومية او حقل التاريخ ، ووفير الحاجة اليه خصوصاً في ظرف العرب اليوم .

عبدالله العلايلي



موسكو ٣ كانون الثاني ١٩٤٤ – اذاع المرشال ستالين امراً يومياً عن استيلاء القوات الروسية على نوفوغراد–فولنسك وهي ملتقى الخطوط الحديدية ومركز مقاومة العدو على بعد ١٥ ميلًا من حدود بولونيا ، وكانت هذه المدينة في ايدي الالمان منذ ١٩ تموز ١٩٤١ اي بعد اربعة اسابيع من هجوم هتلر على روسيا . موسكو – احتلت القوات الروسية مدينة اوليفسك وهي تقع على بعد خمسة اميال فقط من الحدود البولونية .

لندن – ودع الجنرال مونتغمري جنود الجيش الثامن بخطاب مؤثر القاه عليهم في احدى مدن جنوبي ايطاليا .

موسكو ٤ – تمكنت القوات الروسية في الميدان الاوكراني بعدقتال عنيف دام اربعةايام من الاستيلاء عنوةعلى بلدة بيلاتسركوف ومحطتهاالكبرى . ومما يجدر ذكره ان ملتقى السكك الحديدية في هذه المدينة قد حوله الالمان الى « سد » يقي الجناح الايسر من قواتهم في منحني الدنيبر ، فمعنى الاستيلاء عليه ان هذه القوات اصبحت الان معرضة تعريضاً مباشراً لضغط الروس من الشمال والغرب .

موسكو ٥ – استولى جنود الجبهة الاوكرانية على مدينة برديشيف بعد قتال عنيف استمر ٥ ايام . وهي ملتقى كبير للسكة الحديدية .

القاهرة ٥ – وصل الوفد اللبناني الى القاهرة ، وهو مؤلف من دولة رئيس الوزراء رياض بك الصلح ومعالي سليم تقلا وزير الخارجية والاستاذموسى مبارك رئيس غرفة رئاسة الجمهورية ، وقد استقبل الوفد استقبالا شعبياً وحكومياً بلغ منتهى الروعة . وتشرف الوفد عند الظهر بمقابلة صاحب الجلالةالملك فاروق الاول حيث قدم رسالة خاصة من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية . وتناول الوفد بعد ذلك طعام الغداء على المائدة الملكية .

القاهرة ٧ – بدأت المشاورات بشأن الوحدة العربية بين رفعة النحاس باشا رئيس وزراء مصر وبين الوفد اللبناني .

بغداد – لا يزال الوفد السوري المؤلف من جميل مردم بك وزير الخارجية السورية والدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير العدلية موضع الحفاوة في العراق ، وقد بدأت المشاورات بصورة رسمية ، ويطلع الوفد في اثناء أقامته في عاصمة الرشيد على كل ما يتعلق بالمناهج العلمية والثقافية والاقتصادية التي تهم القطرين الشقيقين ، كما زود وزير العدلية السورية بنسخ من القوانين والانظمة المعمول بها في العراق لاقتباس ما يلائم منها للقطر السوري اذا دعت الحاجة الى ذلك . وكذلك تدور مباحثات لعقد اتفاق تجاري مشترك بين القطرين الشقيقين يضمن مصالح البلدين التجارية والاقتصادية وفق مقتضيات ظروف الحرب الحاضرة . لندن – قامت تشكيلات من طائرات موسكيتو وتيفون بهجمات عنيفة على قطاع « بادي كاليه » وجرت اشتباكات جوية شديدة . وقد نجحت الطائرات البريطانية في الاغارة على « ستاتن » اثر خدعة حربية وقع الالمان في حبائلها .

لندن ٨ – حطم المشاة الامريكيون جيوب المقاومة الالمانية الثلاثة في سان فيتوري في ايطاليا بعد قتال عنيف في الشوارع والمنازل، فتم بذلك استيلاء الحلفاء على القرية ، وهي آخر معقل للالمان قبل بلوغ كاسينو على طريق روما . لندن – سقطت كيروفوغراد ، وهي تقع على السكة الحديدية الممتدة من كريمنشوغ الى اوديسا . وهي مركز كبير للطرق . ومعنى سقوط كيروفوغراد ان الالمان خسروا معركة منحنى الدنيبر . موسكو – تقدم الجنرال فاتوتين في زحفه غرباً الى داخل بولونيا القديمة مدى ١٢ ميلًا في ٢٤ ساعة واستولى على مدينة كليسوف الواقعة على مسافة ٢٤ ميلًا في داخل بولونيا القديمة .

لندن ٩ – استولى جنود الجيش الخامس في ايطاليا على جيستو وهي قرية على الطريق الى كاسينو . القاهرة – ابتدأت بدار وزارة الخارجية المصرية المشاورات الخاصة بالوحدة العربية بين رفعة النحاس باشا رئيس وزراء مصر وبين دولة رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ومعالي سليم تقلا وزير الخارجية اللبنانية والاستاذ موسى مبارك مدير غرفة رئيس الجمهورية ، وبعد كلمات الترحيب بدأت المشاورات يسودها جو المحبة والتقدير واتفاق وجهات النظر على توطيد التعاون بين البلاد العربية . بغداد – اعلن رسمياً ان المباحثات التي انتهت بين الحكومة العراقية والوفد السوري الذي قدم الى العراق برياسة جميل مردم قد انتهت الى الاتفاق التام وقد تبودلت الاراء في المسائل التي تهم القطرين كما بحثت وجهات نظر الحكومتين فيما يختص بالوحدة العربية على الاساس التي جرت عليه مشاوراتها في القاهرة . موسكو ١٠ – واصلت القوات في الجبهة الاوكرانية هجومها واحتلت كامينتر – رودفوسك ، المدينة والمحطة الهامة . لندن ١١ – جرت بمدينة فيرونا في شمالي ايطاليا محاكمة الكونت شيانو والمارشال ديبونو وزملائها الثلاثة واسفرت عن الحكم باعدام ١٧ عضواً من اعضاء المجلس الفاشيستي الاعلى لم يحضر الا خمسة اعضاء منهم شيانو والمارشال ديبونو والسنيور مارينالي وقد نفذ حكم الاعدام بإطلاق الرصاص عليهم . موسكو ١٢ – اعلن المارشال ستالين في امر يومي ان سارني قد سقطت في ايدي القوى الروسية .

موسكو ١٤ – استولت قوات جبهة روسيا البيضاء بقياة الجنرال روكوزوفسكي على موزير . وموزير هي المركز الاقليمي لروسيا البيضاء . واحتلت القوات على ملتقى سكك الحديد كالينكوفسكي . لندن ١٥ – دخلت القوات الفرنسية في ايطاليا تحت امرة القائد الفرنسي « جوان » مدينة اكوافوندانا . الجزائر ١٧ – احتلت قوات الجيش الخامس الاميركية جبل كامبيو وهو المرتفع الوحيد الذي يحمي كاسينو . موسكو ١٩ – سحقت القوات الروسية الزاحفة بقيادة الجنرال غوتوروف غربي لينغراد ، المقاومة الالمانية واحتلت بعد قتال دام مدينة كراسنوي سيلو التي كان الالمان قد حولوها الى قلعة حصينة . موسكو ٢٠ – استولى جنود جبهة فولكوف الروس اليوم على مدينة نوفغورود عنوة بفضل حركة التطويق التي قاموا بها . لندن – جلا الالمان عن مدينة مينتورنو في جبهة الجيش الخامس بايطاليا . لندن ٢١ – اعلنت الاميرالية البريطانية ان غواصة بريطانية اغرقت طراداً يابانياً في مياه المحيط الهندي بين ملايا وسومطره . موسكو ٢٢ – شنت القوات الحمراء على جبهة لينغراد هجوماً عنيفاً باتجاه مدينة ميغا فاحتلت المدينة ، وهي عقدة هامة تقع على ٢٥ ميلًا الى الجنوب الشرقي من لينغراد . لندن – احتل الروس مدينة بوشكين الواقعة جنوبي لينغراد الشرقي . لندن ٢٤ – احتلت القوات الحليفة مدينة نيتورنو . لندن ٢٥ انزل الروس قواتهم شمالي كرش . بونس ايرس ٢٧ – قطعت الارجنتين علاقاتها مع المانيا واليابان .

موسكو ٢٨ – احتلت القوات الروسية مدينة فولوسوفو العقدة الحديدية الهامة .